الفصل الثالث

نفق مظلم

صيف سورية الملتهب

شتاء سورية الدامي الطويل، ربيعها المحذوف من التقويم، صيفها الملتهب الخانق وخريفها الكئيب الذي نتمنى إلا يعود إذا كان مشابها للخريف المنصرم.

سورية وهذا العالم المسعور من حولها، امتحان سقط فيها الكثيرون حتى الآن.

الغرب خان الروس وفق حساباتهم فيما يتعلق بالتدخل العسكري في ليبيا وخاض حربا منظمة أدت إلى الإطاحة بحكم القذافي استنادا إلى قرار أممي وافقت عليه روسيّا في مجلس الأمن، اتخذ كمشروع لمساعدة المدنيين ومنع قوات القذافي من الفتك بهم .

الآن أمام حكام روسيّا الفرصة الوحيدة لإعادة الثقة بأنفسهم ذلك من خلال التشبث ببقاء النظام السوري الحليف التقليدي، المستورد الكبير للسلاح الروسي والحاضن للقاعدة البحرية الروسية الوحيدة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كل هذا فإن روسيّا التي كانت يوما ما أحد أقطاب

القرار العالمي في نظام كان بوتين نفسه ضابطا في استخباراتها، مازالت تعاني من أزمة سيكولوجية العظمة. الدواعي النفسية التي تغذي الغرور الذي يعاني منه بوتين بممارسة السلوكية السياسية التي نراها في الشأن السوري تزداد من خلال عوامل عديدة منها تصوره بأن ذلك سوف يعزز شعبيته عند الجمهور الروسي من خلال ملامسة مشاعرهم القومية بقدرة روسيا على تحدي أمريكا، كذلك أوجه الشبه الكبيرة بين ما فعله هو في الشيشان وما يفعله الأسد بشعبه، علينا إلا ننسى أيضا تشتت المعارضة وضعفها والخشية من سيطرة تيارات إسلامية متطرفة على مقاليد الأمور في سورية فيما إذا سقط النظام، من جهة أخرى هناك هشاشة الموقف الغربي نفسه خاصة الأمريكي، الضبابية، انعدام الوضوح في الرؤية المستقبلية والافتقار للخطوط العريضة لملامح سوريا ما بعد الأسد. كل العوامل الآنفة الذكر تجعل بوتين وصحبه متمسكين بموقفهم من الأزمة السورية.

الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة أوباما لن تقدم على أي خطوة قد تكون غير محمودة العواقب والأمر حسب رأيي ليس كما يعزيها الكثيرون إلى الانتخابات الأمريكية القادمة بل هو التوجه السياسي العام لإدارته منذ تولي أوباما الحكم فهو يبذل المستحيل في سبيل تجنب المواجهة بأي ثمن حرصا على الأمن القومي الأمريكي حسب تصوره.

الموقف الروسي كان وما زال ثابتا حيال الأزمة السورية ولم يتغير قيد أنملة في الوقت الذي أمريكا لها موقف مغاير كليا لكنها لم تقدم على

خطوة جريئة تتناسب وحجمها كدولة عظمى.

يقول بو انغي أندرسون معلق السياسة الخارجية في التلفزيون السويدي الرسمي في الموقع الإلكتروني للتلفزيون المذكور: بأن بوتين وأوباما لديهما رؤى مختلفة كليا عن بعضهما البعض فيما يتعلق بإيجاد حل للأزمة السورية وخلف الكلمات الجميلة في تصاريحهما معا بأن هناك قواسم مشتركة كثيرة أثناء اجتماعهم مؤخرا في لقاء مجموعة العشرين خواء كبير. بوتين وأوباما ليست لديهما أي رؤية مشتركة. قولهما بأن العنف يجب أن يتوقف وبأن الشعب السوري من حقه اختيار من يحكمه ليس سوى كلام أجوف لا يعني من الناحية العملية شيئا البتة.

هناك أنظمة تحصد النقاط الإيجابية من خلال استمرار عجلة العنف السورية في الدوران، روسيّا تستعيد زهوها العالمي، إيران تكتسب ثقلا ملحوظا في توازناتها الدولية وزخما في متابعة تطوير برنامجها النووي من خلال انهماك العالم بالشأن السوري، إسرائيل تستفيد في كل الأحوال من خلال الآثار السلبية التي ستخلّفها الاضطرابات الدامية على سورية.

ها هو شعبنا البطل يروي وينعش من دمائه الذكية أنظمة ودولا. لكن الحقيقة تبقى منقوصة إذا ألقينا باللائمة كلها على العالم الخارجي وسياسته حيال ما يحدث في الوطن بل علينا المصارحة بأن المعارضة السورية بمختلف أطيافها لا تبذل جهدا حقيقيا يذكر في سبيل توحيد قواها ودحض ادعاءات المجتمع الدولي بأنه لا يمكن الاعتماد عليها كبديل لنظام الأسد. سلوكيات القيادات المعارضة الفجة تشكل بحد

ذاتها مساهمة في استمرار النزيف الدموي الذي يعانيه شعبنا.

بوتين يتعجرف، أوباما يتخاذل، بقية العالم يتفرج، بينما الأسد يغير الحكومة تلو الأخرى ويحدث وزارة للمصالحة الوطنية في الوقت الذي تستمر قواته في دك المدن والبلدات الثائرة بالمدافع وترتكب المجازر المروعة بحق شعبنا السوري العظيم الذي يسطر ملحمة بطولية نادرة تشكل منعطفا تاريخيا، عاجلا أم آجلا سوف تحطم السد المصطنع ومن يسندها بسيل دمائهم الذكية الذي سيطيح ليس بالنظام البعثي فحسب بل بأنظمة عديدة .

ممرات ضيقة
ومؤتمرات عديدة والموت واحد في سورية

الصمت ثقيل في مواجهة الترهات التي تجري في أروقة الفنادق وقاعات المؤتمرات الكثيرة والمتشابهة حتى بات من الصعب التمييز بينهم من حيث المشاركين، البيانات وما إلى ذلك.

الحديث حول مواقف تصدر عن نظم، جهات، أو شخصيات في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة من تاريخ سورية بلدنا الجريح أمر لا بد منه، بل هو واجب. في الوقت الذي يمضي فيه شعبنا السوري الأبي في مسيرته مصرا على تحدي همجية النظام في تعامله الوحشي مع الانتفاضة السلمية التي أرغم قسم منها على حمل السلاح في سبيل مواصلة النضال ضد قوى الشر ببسالة تذهل العالم، يجتمع نادي أصدقاء سورية في باريس تزامنا مع العطل الصيفية في مؤتمر يتحول إلى عادة بدأنا نألفها شئنا أم أبينا. قرابة المائة دولة تناقش الأزمة التي ألمت بصديقتهم ويتباحثون سبل التوصل إلى الإجراءات الأنجع لاتخاذها وبالتالي التوصل إلى وقف نزيف الدم والاتفاق على موعد اللقاء القادم في المغرب!

المؤتمر جاء تزامنا مع الأعطال الصيفية وفي أعقاب اجتماع القاهرة الفاشل بكل ما أوتي من معنى. قرابة العام والنيف، ليس أقل من 20000 من أرواح السوريين أزهقت، عشرات الآلاف من الجرحى، المفقودين، المعتقلين، مئات الآلاف من اللاجئين، ما يقارب المليون والنصف من السوريين نازحون داخل بلادهم ويسعد صباحكم يا معارضة تريدون الآن أن تخرجوا إلى العالم بوثيقة عهد للشعب السوري، للمنطقة والعالم وثيقة تظهر فيها ملامح سورية المستقبل سورية بدون الأسد.

التصريحات التي صدرت مؤخرا عن الناطق باسم الجيش الحر الذي أكد على عدم تمثيل المعارضة الخارجية للحراك الداخلي وبأن تلك المعارضة لا ترقى إلى مستوى الأحداث تعطي أكثر من دلالة يجب ذكر بعضها: الأولى تدل فعلا على الوهن الذي يعانيه المجلس الوطني السوري وضعف تواصلها مع ثورة الداخل، لكن الأهم في تصريحات الجيش الحر هو محاولته الاستيلاء على المهام المنوطة بالأطراف السياسية وهذا كله إن دل على شيء فهو يدل على ضعف الجانب السياسي للمعارضة الذي من المفروض أن يمثله المجلس المذكور بكل ما أوتي من دعم دولي هائل.

انسحاب الكرد قبل صدور الوثيقة النهائية من مؤتمر القاهرة هو إحدى الانتكاسات التي تكررت دون العمل على تداركها من خلال حوار بناء. هذا أيضا يدل على عدم استقلالية قرار المجلس وعدم استيعاب حجم الأهمية البالغة في توحيد القوى بين كافة المكونات السورية. نصف قرن من التعاليم البعثية والسطو على الأذهان لا تزول بهذه السهولة فرواسب

تلك المدرسة باقية عند الكثيرين من المعارضة راقدة في اللاشعور تظهر جليا عند التطرق لقضايا قومية تتعلق بوجود شركاء آخرين على الأرض مثل الشعب الكردي.

الكرد مطلوب منهم الوضوح التام في الرؤى والمواقف بشكل لا يقبل الشك والتأويل، التأكيد والطمأنة لباقي المكونات السورية بأنهم شركاء في الوطن وجزء هام من فسيفسائها وما يريدونه هو الاعتراف الدستوري بالحقوق القومية كشعب له لغته، تقاليده وتاريخه المسترسل في القدم مع التشديد ألف مرة على عبارة ضمن حدود الدولة السورية الواحدة.

الحقيقة التاريخية هي أن لا العرب ولا الكرد ولا الثوريين أو غيرهم من شعوب المنطقة هم من وضعوا الحدود الحالية لسورية بل الأوروبيون تحديدا فرنسا وبريطانيا في معاهدة سايكس بيكو المعروفة 1916 باقتسام الهلال الخصيب وتركة الرجل المريض (الإمبراطورية العثمانية) خلال الحرب العالمية الأولى. نحن الآن في داخل تلك الحدود التي رسمها غيرنا، علينا أن نسعى معا لإيجاد أطرا تساعدنا على العيش الكريم معا وليس أطرا تؤلب أحدنا على قتل الآخر بحجج قومية عنصرية أو تحت أي مسمى كان. نحن شركاء في وطن واحد.

الكردوفوبيا التي أصبحت ملازمة للمعارضة والتي تعيد أطيافها المختلفة إلى الممرات الضيقة لفكر البعث الشوفيني سيان في ذلك العلمانيون والإسلاميون آن الأوان لتجاوزها.

المرحلة حساسة جدا وعلى الفصائل المنادية بالحرية أن تتغلب على

الموروثات النتنة التي بقيت مترسبة والتي تسبب الشقاق وتعمق الخلافات. الطرف الكردي عليه أيضا التخلص من حالة الهروب المتمثل بالانسحابات المتكررة بل على النقيض، القوى الكردية الفاعلة عليها الاستمرار في المعركة المصيرية التي يخوضها شعبنا البطل في الداخل الذي يواجه آلة القمع الغاشمة والعدو الحقيقي لكافة السوريين بمختلف أطيافه.

كجزء لا يتجزأ من الحراك على الكرد السوريين ليس فقط أن يفكروا في المناطق الكردية بل بعموم سورية من جنوب درعا حتى ديريك وأن يكونوا شركاء في صنع القرار على مستوى سوريا بأكملها وجزءا لا يتجزأ من العاملين على صياغة الملامح الرئيسية لسورية المستقبل التي نحبها جميعا لكي نراها دولة القانون والمواطنة والتعددية في دمشق ما بعد الأسد.

الدول الكثيرة الذين اجتمعوا في باريس بدون روسيا والصين خرجوا من المؤتمر كما كان متوقعا بالمزيد من التصريحات والبيانات الجوفاء وما إلى ذلك من قرارات هزيلة.

لم يقدموا بدائل للتعاطي مع الأزمة خارج مجلس الأمن المعطل عن العمل بموجب الفيتو الروسي، الصيني.

لم يتخذوا أي إجراءات ضد روسيا الدولة الأساسية التي لولا دعمها المباشر والقوي لنظام البعث لانتهت محنة الشعب السوري العصيبة منذ أمد بعيد.

مرة أخرى حتى الآن لم يبذل المجتمع الدولي الجهد الكافي لوقف آلة القتل ضد شعبنا ولن يفعل ما فيه الكفاية ما دامت المعارضة أكثر من مشتتة ومادام أحدنا يريد أن يلغي الآخر. حان الآن وقت الصحوة الحقيقية، بوابة النصر مغلقة بإحكام، القفل الضخم بيد روسيا لكن مفتاحها هو تلاحم الشعب السوري ووحدته.

شخصيات هلامية موبوءة بآفات النظام

التهويل الإعلامي حول انشقاق مناف طلاس إن لم يكن متعمدا فهو لغط مبالغ فيه إلى حد بعيد. طلاس الأب لم يكن في يوم من الأيام على الرغم من تبوئه منصب وزير الدفاع وولائه التام خلال رحلة عمل دامت أكثر من ثلاثين عاما في خدمة الأسد الأب من أن يكون واحدا من ضمن دائرة القرار الحقيقية الضيقة. حافظ الأسد ارتأى فيه إحدى الواجهات السنية الصامتة التي لا ترى ولا تسمع بكل نياشينه وأوسمته بغية إظهار مشاركة أغلبية السنة في الحكم من خلال أمثاله، مقابل ذلك تمتع العماد وعائلته بامتيازات نفعية عديدة. الدور الموكل إلى طلاس الابن لم يختلف كثيرا فالعائلة الموالية للنظام كانت من ضمن الميراث الذي آل إلى الأسد الابن كعائلة مقربة للحاكم لكن ليس من الحكم.

التصريحات الأخيرة التي صدرت عن بعض أطراف المعارضة السورية ورقصة العراضة المبكرة لمناف حتى درجة الإيحاء بقدرته على إدارة مرحلة انتقالية قبل أن يعلن الرجل عن نيته بالوقوف مع الانتفاضة الشعبية لها

دلالتان لا ثالث لهما:

الأولى قد تكون من منطلق تعلق الغريق بقشة! هذه الدلالة هزيلة إلى حد ما لأن من صرّحوا من المعارضين هم من السياسيين المتمرسين الذين لا تخفى عليهم الشاردة، وهم يعرفون بأن السوريين ثلاثة وعشرون مليونا وبينهم بالتأكيد من يستطيع قيادة المرحلة الانتقالية.

الثانية التي تعتبر أكثر انسجاما مع واقع الداخل السوري هي أن هذه المعارضة على دراية كبيرة بخفايا الأمور حول حيثيات فرار مناف والفترة الزمنية قبل وأثناء خروجه من سورية.

الضبابية التي تلازمت خبر انشقاقه دون الإعلان عن ذلك بتصريح من صاحب القضية نفسها ترك الكثير من إشارات الاستفهام وبابا مفتوحا على مصراعيه للتأويلات والسيناريوهات الكثيرة المحتملة التي قد تكون وراء هذا الانشقاق المزعوم.

اتفاق منظم بين دول غربية، عربية، قسم من المعارضة، طلاس، ربما!

خطة عنكبوتية منسوجة بعناية من قبل النظام نفسه مستندة على دعم استخباراتي كبير يشتم منها رائحة -ك-ج-ب أيام السوفييت والتي بوتين كان ضابطا عاملا فيها أقرب إلى التصديق.

حدس الإنسان فوق كل التحليلات السياسية والعلمية ويبدو أن قرون الاستشعار لدى حكام دمشق قد بدأت تنقل الأخطار المرتقبة وذلك تزامنا مع ارتفاع أزيز الرصاص في أحياء عديدة من دمشق، دوي المدافع في ريفها وتفاقم الانشقاقات في صفوف الجيش من مختلف المراتب. لابد

أن النظام رغم بغيه وتجبره قد بدأ يعرف بأن إمكانية الاستمرار في حكم سورية بعد كل هذه المجازر والأهوال بات أمر شبه مستحيل والاقتناع بذلك قد يجنبه مصيرا شبيها بما آل إليه القذافي وصحبه.

من هنا بدأت العقول المدبرة في النظام السوري بالتعاون مع الحليف الروسي التحضير لسقوط مريح لأركانه عند الفشل في المحاولة الأخيرة لإخماد الثورة بقيادة كوفي عنان الذي يحاول إشراك إيران والعراق (المالكي) فيها .

المرحلة الانتقالية ومن يقودها لها الأهمية المطلقة بالنسبة للزمرة الحاكمة في دمشق، تحديدا أمن وسلامة رؤوس النظام ومصير ممتلكاتهم بالدرجة الأولى ومن ثم ضمان تجنيب المقربين من النظام وبشكل خاص الطائفة العلوية ويلات الانتقام. من يستطيع القيام بمثل هذا الدور أفضل من الصديق الوفي بل الخادم الأمين وابن الخادم الأمين ويؤمن مثل هذا السقوط الناعم. طلاس سني مثل الأغلبية ليس له دورعلني في تصفية الثوار هذا ما سيجعله مقبولا من الشعب المنتفض ومن بقية أطياف المعارضة كقائد للمرحلة الانتقالية.

قريحة النظام في سورية كانت ومازالت مبدعة في صناعة المعارضين الوهميين الآن تتفتق هذه القريحة حتى بصنع من يدير شؤون البلاد عند سقوط الأسد.

مخرج من المعضلة التي أوقع النظام نفسه وأصدقاءه فيها وطلاس من بينهم جاء على طبق من ذهب للانخراط مع الانتفاضة الشعبية العارمة

شرعيا والحفاظ على المكتسبات الكبيرة التي اقتنتها العائلة عن طريق استغلال نفوذها الذي امتد لعقود طويلة.

على الرغم من المخاض العسير ورحلة السير على الأشواك بأقدام حافية مثخنة بالآلام في سورية المزروعة بألغام القتل الموقوتة، على الرغم من التعثر في تضميد الجراح بين الكبوة والنهوض والحصاد المر لعشاق الحرية من عامة السوريين، تبقى الحلول التي يجدها الغير للداخل السوري لا جدوى منها ويبقى السعي لتسويق شخصيات هلامية موبوءة بآفات النظام الحاكم حتى النخاع لقيادة فترة انتقالية آخر ما يمكن أن يسمى حلا لمأساة بلدنا الحزين المتشح بالسواد طولا وعرضا.

الأبطال من أبناء شعبنا السوري في الداخل الذين يبذلون الغالي والنفيس في سبيل التخلص من الاستبداد هم أصحاب القول الفصل في رسم معالم سورية المستقبل من مرحلتها الانتقالية وحتى الوصول إلى ذلك اليوم الذي يصبوا إليه جميع السوريين يوم الاحتكام إلى صناديق الاقتراع الحقيقية.

العقلانية انشقت عن النظام الجائر في سورية تزامنا مع اقتلاع جلاوزته أظافر أطفال درعا وإطلاق أيدي شبيحته ليعيثوا قتلا وفسادا. سار النظام من حينها فاقدا للرشد لا يفقه إلا لغة الحديد والنار، جيشه أصبح وبالا على شعبنا، الذي سمي زورا وبهتانا بجيش الوطن العقائدي. لا أدري بأي سمات يمكن وصف مؤسسة العار العسكرية السورية قياسا مع المصرية أو التونسية؟ هنا يجب أن أوضح بأن المعنيين هم ذوو الرتب السيادية

بالدرجة الأولى. أين شرفاؤها الذين هم على شاكلة طلاس، حيث اقتضى الأمر أكثر من ثمانية عشر شهرا على معركة شعبنا غير المتكافئة ضد الظلم والطغيان والدماء الغزيرة التي سالت حتى تتحرك فيهم النخوة ويميزوا الحق من الباطل بل بالنسبة لمناف انتظر حتى بعد خروجه الغامض من سورية أكثر من أسبوعين وتناول جرعات عديدة لاكتساب الشجاعة اللازمة وبعد طول تردد واستشارات قرر الإعلان عن انشقاقه المريب. كان الأجدر بالعميد القتال مع لوائه على أرض المعركة وحماية المواطنين السوريين كسبيل لطلب العفو والمغفرة من الشعب السوري الذي يعرف حق المعرفة بأن لعائلته كل المساهمة في إرساء ظلم الأسد الأب والابن وطغيانهما على مدى أكثر من أربعة عقود من الزمن، ذلك كان أفضل له من طواف الكعبة الشريفة مئة مرة بدل تمثيلية العمرة التي روّج لها.

صحيح أن سورية تعرضت لغزوات كثيرة وصبغت الدماء الحمراء نهر العاصي مرات عديدة عبر التاريخ، لكن هذه المرة مختلفة تماما لأن الأجساد التي انتشلت من العاصي والمجازر العديدة الأخرى ارتكبت على أيدي من يدّعون بأنهم أبناء الوطن وحماتها. أيّ وطن هذا الذي تهتك فيه أعراض أهله ويهدر دم شعبه وتكتوي أجساد مواطنيه بنيران الغل. سورية الأرض، المكان، لا قيمة لها بدون شعبها المعطاء، المتسامح، العريق .

أعداد الضحايا تزداد في الارتفاع يوما بعد يوم، وتيرة الأحداث على الأرض تسير بسرعة الضوء قياسا مع السير السلحفاتي للمجتمع الدولي

خاصة بعد التفجير الذي استهدف القيادة العسكرية المسماة بخلية إدارة الأزمة. التذرع بالخشية من نشوب حرب أهلية في سورية من قبل العالم الخارجي في حال التدخل الفعلي هو ادعاء باطل بل على النقيض من ذلك أي أن السلبية في التعامل مع الملف السوري والقيام بإجراءات عقيمة هي التي تمدّ في عمر النزاع، تطيل من عذابات شعبنا وتشجع النظام لارتكاب المزيد من المجازر مما يؤدي إلى تفاقم الأزمة. المغامر الوحيد بوحدة الأراضي السورية وسلمها الأهلي هو النظام البعثي الشوفيني.

روسيا تنظر إلى الانتفاضة الشعبية على أنها غزو للمتطرفين المدعومين من دول الخليج وتركيا الإسلامية ضد رئيس متحضر يحاول جاهدا الدفاع عن العلمانية ويعوق الإسلاميين من السيطرة على مقاليد الأمور. كما أنها تعتقد بأن سقوط الأسد قد يشكل خطورة وصول ذلك المد الديني إلى جمهوريات الاتحاد الروسي. الكابوس الآخر الذي يتخوف منه الروس هو استيلاء الإسلاميين على الأسلحة الكيماوية السورية حال سقوط نظام البعث ومن ثم سهولة وقوعها في أيدي القوقازيين.

بوتين يسير مع إدارته بعكس التيار أي الدعم والوقوف إلى جانب الحكام المستبدين بكل قوة ضد شعوبها المظلومة.

الدعم الذي طالما سبب عداء شعوب العالمين العربي والإسلامي للغرب لأنها كانت تبدي مصالحها السياسية على القيم والمعايير الإنسانية التي تنادي بها، في الوقت الذي يتوخى أوباما الحذر الشديد في سياسته مع العالمين المذكورين خدمة للأمن القومي الأمريكي.

الدول الأعضاء في مجلس الأمن دعت مؤخرا للمرة الثالثة إلى اجتماع تصويت على مشروع قرار لفرض المزيد من العقوبات على النظام على الرغم من معرفتها التامة بالفيتو الروسي والصيني، إن لم يكن لديها مخطط للقيام بإجراءات خارج المجلس فذلك يعني بأنها قامت بعمل عبثي لا مبرر له البتة. الجامعة العربية بدورها تحوّل الملف إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بإجراء مكرر أيضا وللتذكير أقول لقد تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في شباط المنصرم قرارا بشأن الانتقال السياسي في سوريا بأغلبية 137 صوتا مقابل 12، وامتناع 17 دولة عن التصويت. مع ذلك لم يتخذ المجتمع الدولي أي إجراء فعّال ينهي الأزمة، سوى إرسال المراقبين وانتظار خطة عنان العقيمة التي طغت مساوئها على محاسنها. الآن بعد مضي أكثر من خمسة أشهر وسقوط الآلاف من الضحايا والخراب والمآسي التي لحقت بالبلاد والعباد تعود الجامعة إلى إعادة الكرّة. هذه ليست سوى خطوات التقهقر إلى الوراء في الوقت الذي يدفع الشعب السوري ثمن كل خطوة إلى الأمام من دماء أبنائه.

على الدول العربية والأجنبية الصديقة للشعب السوري إثبات مصداقيتها من خلال السعي لإيجاد السبل الكفيلة بوقف آلة القتل مهما كانت الإجراءات، أما من يصلح لقيادة المرحلة الانتقالية فتلك مهمة يجب أن يتولاها السوريون أنفسهم.

إيجابية تصريحات الأسد لقوى المعارضة

استهل الأسد خطابه المشئوم متحدثا عن مأساوية الوضع في البلاد وقسوة المعاناة التي ألّمت بالسوريين باديا تأثره البليغ بكل ما يجري، كأن ما يحصل يتحمل وزره الآخرون أما هو فلا يتحمل ولو جزءا يسيرا من المسؤولية الأخلاقية أو القانونية بل أمعن في إعطاء نفسه صفة المناضل المدافع عن الشعب ووصف شبيحته بالأبطال المضحّين بكل شيء في سبيل الوطن، متناسيا قصف قواته الآثمة للمدنيين الأبرياء في الرستن، داريا، حلفايا، حمص، حماة وغيرها من المدن والبلدات السورية الأبية.

الاستمرار في سياسة تجاهل الشعب والابتعاد عن الواقع المؤلم على الأرض، تحريف أسباب الانتفاضة الشعبية الحقيقية، نعت الثائرين ضده بحفنة من المجرمين والقتلة، من المفروض أن يشكل حافزا قويا للمعارضة المسلحة والسياسية للاتحاد والتكاتف في مواجهة هذا النهج وهذا السلوك الديكتاتوري الذي يأبى أن يحيد الأسد عنه. الخطاب غير المنسجم مع الواقع المرير والذي لم يحتوِ على أي بريق أملا بالتوصل إلى

حل يحقن عن طريقه دماء السوريين بل يشير إلى المزيد من القتل من المفروض أن يوحّد أطياف الشعب السوري عامة في سبيل الحفاظ على لحمتهم الوطنية التي يسعى النظام جاهدا إلى تفتيتها. النظام يستمر في وصم الثوار بالمأجورين ساعيا بدأب إلى ضرب أطياف المجتمع السوري بعضه ببعض وما تمجيد الأسد في خطابه لقوات لجان الحماية الشعبية الكردية في مدينة سري – كانيه الكردية المعربة إلى رأس العين إلا محاولة يائسة جديدة لزرع أسباب الشقاق بين الكرد والعرب وإضعاف الحس الوطني.

خطر التقسيم في سورية إن وجد لن يأتي إلا من خلال تعنت نظامه واستمراره في حربه الدموي ضد أبناء الشعب السوري الرافض لحكمه واتّباعه سياسة انتقامية بغيضة لكسر الإرادة الحرة لدى أبناء الوطن. النظام وحده هو الذي يتحمل أي بوادر لتقطيع الأوصال في الوطن السوري وتمزيق نسيجه المتعدد الألوان فهو يمارس سياسة التطهير العرقي بغية التمهيد للاحتماء في مناطق خاصة لشبيحته. اتهام الأسد القوى الإقليمية والدولية بالسعي لتقسيم سورية اتهام ليس باطلا فحسب بل مخالف للواقع إذ لا مصالح للدول الإقليمية الفاعلة مثل مصر، السعودية ولا حتى تركية في أي تقسيم لسورية، إن كانت هناك مصلحة إقليمية فهي لإيران بغية استمرار نفوذها عبر عراق (المالكي) إلى سورية من خلال المنطقة الموالية لها ومن ثم إلى إيران الصغيرة في لبنان (حزب الله). دوليا لن تستفيد من التقسيم سوى روسيّا التي تحلم

باستمرار نفوذها في المنطقة عن طريق استمرار حكم البعث وذلك لمعرفة حكامها الأكيدة بعدم التمكن من الحصول على امتيازات في سورية الجديدة.

عامان من الألم، العذاب والمعاناة فاقت خلالها تعداد اللاجئين والنازحين السوريين أخوتهم الفلسطينيين في الشتات ومازال الأسد يتشدق بالدفاع عن القضية الفلسطينية وبأن العدو الرئيس هو إسرائيل في الوقت الذي أفرغ جبهة الجولان من جنودها ليوجهوا مدافعهم صوب بوابات دمشق.

مبادرة الحل السلمي والحوار الوطني ليست موجهة إلى المعارضة التي تقاوم أو ترفض الظلم بل موجهة إلى المعارضة التي يختارها النظام والمتمثلة بالمعارضة الوطنية التقدمية التي حلت محل الجبهة الوطنية التقدمية سابقا.

على الدول التي تقدم الدعم والسلاح للمعارضة أن توقف إمداداتها لكي تتمكن قوات الأسد من دحرهم بسهولة، بذلك يتمكن من ترسيخ أواصر حكمه من جديد.

لم ينس الرئيس المغوار الذي لا يعتمد على قوى الخارج بأن يشكر كل من روسيّا، الصين وإيران على دعمهم اللامحدود لنظامه والذي يعدّ أهم أسباب استمراريته في قتل السوريين وتدمير ممتلكاتهم.

بعد كل هذا القتل وهذه الدماء التي أريقت وبعد كل هذا الصمت والاختفاء يظهر الأسد في خطابه الأجوف مؤكدا انفصامه عن الواقع

وافتقاره إلى أي خطة للخروج من النفق المظلم والمحنة العصيبة التي تعصف بالسوريين.

على ما يبدو مرض الديكتاتورية واحد أينما كان في ليبيا، رومانيا، صربية، إلخ. الطغاة لا يرون ولا يسمعون إلا وجوه وأصوات المصفقين لهم، تلك هي الحقيقة التي لا يمكن تغييرها وقد أثبتت تاريخيا، كما أن نهايتهم كذلك واحدة لا يمكن أيضا تغييرها.

المجلس الوطني السوري

في الوقت الذي ترتكب فيه المجزرة تلو الأخرى بحق الشعب السوري الثائر في بلدنا الجريح، يتوصل المتنازعون في المجلس الوطني السوري إلى تنصيب السيد عبد الباسط سيدا لرئاسة المجلس لمدة ثلاثة أشهر. متناسين أن من يرأس المجلس هو آخر ما يفكر فيه أهالي الحولة والقبير والرستن ودرعا والحفة وأهالي ريف دمشق وغيرها من المناطق الملتهبة .

توسّم الحراك المعارض خيرا بالمجلس الوطني السوري في بداياته لكن سرعان ما تلاشت تلك الآمال وطفا على السطح حقيقة بعدهم عن صلب الحراك السياسي داخل الوطن، عدم قدرتهم على التواصل مع الشارع في المناطق الساخنة وفقدان القدرة الحقيقية على تمثيل المعارضة السورية التي تقود الاحتجاجات في المدن والبلدات السورية. كذلك لم تتمكن من عقد عرى الثقة مع الجيش الحر وبالتالي إمكانية القيادة كجناح سياسي فعّال ومؤثر يحمل معه أدوات المرحلة العصيبة وإمكانية التعامل مع المعطيات الإقليمية والدولية بما يخدم تطلعات الشعب

التواق إلى الحرية، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، بنفس الوقت تملك الرؤى الواضحة لسورية المستقبل، وتعكسها بشكل واضح وشفاف إلى الداخل والخارج معا.

على الرغم من تواجد معظم أعضاء المجلس وأمانته العامة في الخارج لا توجد لهم فعاليات تذكر والتي من شأنها ازدياد الضغط على الاتحاد الأوروبي لكي بدورها تقوم بتضييق الخناق على الدول الداعمة للنظام البعثي وبالدرجة الأولى روسيا. طرد السفراء السوريين مثلا من دول العالم كان من المفروض أن يحصل منذ أشهر عديدة ومن خلال جهود أعضاء المجلس الوطني وليس بعد أن يدفع ثمن تلك الخطوة من دماء أطفال الحولة والقبير.

الخطوات التي اتخذها المجتمع الدولي ضد النظام من عقوبات اقتصادية ومقاطعات دبلوماسية حتى الآن جاءت نتيجة تمادي النظام وإيغاله في التعامل الوحشي مع المنتفضين من جهة وصمود شعبنا في وجه القمع بشجاعة أسطورية من جهة أخرى وليست منّة من مجالس أو هيئات أو شخصيات.

المجلس عاجز عن مواكبة الأحداث في الداخل وعدم القدرة على تمثيل الحراك في الخارج وما وصل إليه من اعترافات تمثيلية هو نتيجة سعي المجتمع الدولي لإيجاد طرف يمكن الحوار معه في المعارضة السورية وليس نتيجة عمل حثيث للمجلس نفسه.

يحزّ في النفس كم من الوقت والجهد بذل منذ تأسيسه في الصراع على

من سيتبوأ ماذا؟ القوى السياسية التي تكسب المعركة في داخل المجلس، تخسر الحراك السياسي في داخل الوطن الذين لأجلهم وجد المجلس.

على الرغم من رسائل التهنئة من البعض لسيدا التي لا تتناسب مع ظروف الألم والمعاناة التي يمر به بلدنا وشعبنا السوري لا يعني تبديل الأشخاص في قيادته شيئا ما دام التوجه العام للمجلس هو نفسه.

المجلس الوطني السوري بتنوعه الفكري وبالقدرات المتوافرة لديه عليه مراجعة دفاتره مرة أخرى متذكرا بأنه على الرغم من المفارقات العجيبة والتحديات الصعبة يبقى الشعب السوري بكافة مكوناته في الداخل هو من يملك مفتاح النصر.

شاءت محاسن الصدف أن أحضر مؤخرا إحدى الندوات التي اشترك فيها أعضاء بارزون من قيادة المجلس الوطني السوري، على الرغم من الفرحة الطفولية التي عادة تغطي وجوه الصغار الموعودين بملابس العيد الجديدة والحلوى الوفيرة غمرت وجوههم، استهل د. برهان غليون الندوة بشرح تمتع بتحليل فلسفي سياسي فيه نوع من السوداوية حول واقع الثورة السورية، دور الدول الإقليمية والدولية في الأزمة ورؤيتهم لمسألة الانتقال السياسي في سورية من نظام مستبد إلى آخر برلماني حر موحيا إلى أن هناك عملية إنهاك لسورية دولة وشعبا وأن أمورا كثيرة تؤخذ في الحسبان من بينها الحفاظ على أمن إسرائيل وضمان استمرار أمان مصادر النفط والطاقة في الخليج.

يقول حاييم سابان مؤسس مركز سابان لشؤون الشرق الأوسط

السياسية بمؤسسة بروكينغز في مقالة له بعنوان الحقيقة حول أوباما وإسرائيل في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية: اسأل أي مسئول إسرائيلي من العاملين في مجال الأمن القومي الإسرائيلي وسوف يخبرك بأن العلاقة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل لم تكن في يوم من الأيام أفضل مما هي عليها الآن في عهد الرئيس أوباما ويردف: إنه لمن الصعوبة بمكان أن أتذكر فترة كانت فيها السند والدعم الأمريكي أقوى من الوقت الحالي.

ربما الأسباب السالفة الذكر تبرر نوعا ما تلكؤ الأسرة الدولية في الإجماع على قرار يضع نهاية لمعاناة الشعب السوري، التلكؤ الذي بدوره منح أركان النظام في دمشق الفسحة الزمنية المطلوبة للقيام بكل ما هو محظور ومباح لإقناع العالم بأن هذه حرب طائفية وليست ثورة حرية كما يقال ويستشهد بالإشارة إلى البديل القادم (إسلام سنة متطرف).

كان على المجلس الذي تمتع منذ إنشائه باهتمام إقليمي ودولي منقطع النظير ليكون الخيار السياسي البديل للنظام والمحاور عن الشعب السوري الإمساك بزمام الأمور الدبلوماسية الهامة والملحة تنسيقا مع بقية قوى المعارضة السياسية والعمل ليلا نهارا على إثبات العكس حول مزاعم النظام ليس بالقول فقط بل بطرح البديل السياسي الحقيقي الذي يجمع كافة أطياف المجتمع السوري ضمن برنامج مستقبلي لنظام مدني تعددي ديمقراطي يحل محل الدكتاتورية في سورية الجديدة.

الآن بعد هذه الرحلة الطويلة من العذاب والمآسي التي مرّ بها شعبنا

وإيغال النظام في القتل والتشريد وصناعة اللاجئين يبدو المجلس غير مستفيد من تجربته السياسية التي تقاس مع عمر الثورة السورية، من خلال اعتماده الأساسي على الخارج حتى في تقوية علاقته مع الداخل وهذا ما يشكل وهنا حقيقيا نظرا لمصالح الدول المعنية المختلفة في المنطقة ولأن القوة الفعلية لأي حركة ثورية لا يمكن أن تكون حقيقية إلا إذا كانت مستمدة من أبناء الشعب دون إلزام أو توصية خارجية. د.غليون يظهر تفهما منطقيا لسلوك المجتمع الدولي مع ذلك يفتقر إلى الخطاب السياسي القوي مكتفيا بالتلميحات الخجولة.

الأزمة لا يمكن معالجتها من خلال التوسل لتقديم المساعدات المادية للاجئين السوريين ومدّ الجيش الحر ببعض السلاح للاستمرار في الصمود، على الرغم من أهميتها الوقتية وضرورتها إلا أنها غير كافية بل الاعتماد على مثل هذه الإستراتيجية وحدها يزيد من تحطيم وتفتيت سورية وطنا وشعبا، لعبة الهاء باهظة الثمن، مساحة من الرمال المتحركة لإغراق الربيع العربي وخنقه قبل أن يعبر الحدود السورية. العالم الخارجي يرى التحول الديمقراطي في تونس، ليبيا، مصر، اليمن نسبي ويمكن التعايش مع تلك الأنظمة الجديدة مع بعض الترويض فهم أولا وأخيرا في عوز إلى الدعم المادي الغربي والعربي لتغطية المتطلبات المعيشية التي كانت منذ البداية أحد الأسباب التي ألهبت الربيع العربي. يقول توماس فريدمان في مقالة له أيضا في نيويورك تايمز: نحن مازلنا بحاجة إلى الدعم الإستراتيجي المصري في المنطقة وهي مازالت بحاجة

إلى دعمنا المادي ولكن مصر بقيادة إخوان مسلمين ديمقراطي لن يكون سلوكها مواليا لنا بنفس البديهية التي كانت مع النظام السابق بل نحن بحاجة لخلق نوع جديد من العلاقة ذلك سيكون معقدا.

معقدا لكن ليس مستحيلا يمكن إيجاد أطر للتأقلم معها ولذلك حتى الآن التغيير لا يشكل خطرا على السياسة الحالية للمنظومة الدولية، لكن تلك المعادلات سوف تتغير إقليميا ودوليا مع نجاح ربيع عربي حقيقي في سورية.

المعركة الآن تدور حول تحديد هوية النظام القادم في سورية واحتوائه قبل ولادته كتابع ذليل لا صوت حر يسمع دويه في شتى أصقاع الدول ذات الأنظمة الاستبدادية.

المؤسف في الأمر أننا مهما حاولنا تجاهل الأمر والتنصل من سرد الحقيقة فإن حل الأزمة السورية لن يتم إلا عبر قرار دولي يجبر النظام في دمشق بالتخلي عن السلطة لصالح الشعب السوري. لكن نضوج تلك اللحظة لم تحن بعد طبقا للمعايير الدولية المرسومة للحكم المرتقب في دمشق وحين يحصل لن تنتظر تلك القوى دعوة، موافقة أو قرارا بالتدخل العسكري القوي والمباشر.

النوع لا الكم

امتزجت الألوان الصاخبة مع الأصوات المدوية في التحام متناسق مكوّنة لوحة سريالية وعاصفة عارمة، لفظتها الاحتجاجات والمعارك العنيفة التي تدور رحاها بوتيرة مرتفعة يوما بعد الآخر مزقت الحجاب عن المنظومة الدولية المترهلة وأزاحت الستار عن عورتها، كشفت زيف مفردات رددت عهودا على مسامعنا: التضامن، العدالة، المساواة، حقوق الإنسان وغيرها. العاصفة التي كان أبطالها أطفال درعا، انتشرت بعدئذ لتعمّ جميع أرجاء المناطق السورية. أسمع شعبنا صدى ثورته إلى العالم بأسره، مع ذلك لم تستطع اختراق ذهنية المعارضة السياسية نفسها بمختلف فصائلها حتى تلك الشخصيات التي تعتبر نفسها مشاريع قادة لسورية الجديدة.

نحن معذورون في إلقاء التهم على الشرق، الغرب، العرب، العجم والترك، المعنيين وغير المعنيين بالشأن السوري على تباطؤهم في التعاطي مع الأزمة في بلدنا فليس بينهم من يبذل جهودا كافية تفضي إلى وضع

حد لمعاناة ومآسي شعبنا، جهودا ترقى إلى مستوى الدماء الزكية التي تراق يوميا على تراب الوطن، إلا أن حصة كبيرة من اللائمة يجب أن تتقاسمها قوى المعارضة السياسية. المعارضة بالاعتماد على قدراتها الدبلوماسية والسياسية لم ولن تستطيع التأثير في مواقف الدول الداعمة للنظام نظرا للعلاقة الإستراتيجية المعروفة التي تربط كلّا بالآخر.

استمرار السلطة الحاكمة وصمودها قرابة العامين يرتكز على مقومات تنفخ فيها القوة ودعائم تسندها من السقوط وترفع من إرادة الصمود لديها فبالإضافة للدعم الروسي، الإيراني، هناك إستراتيجية داخلية تسير عليها وقد أثبتت يوما بعد الآخر نجاحها، حيث تمثلت بتحويل الصراع من انتفاضة شعب ضد سلطة جائرة إلى حرب مذهبية ضد الطائفة العلوية بالدرجة الأولى وبعض السنة المنتفعين من فسادها المستفحل في البلاد، بالإضافة إلى الفزّاعة المعروفة والموجهة إلى الأقليات.

المعارضة تستطيع إن توافرت الإرادة الوطنية الحقيقية أن تقوم بكسر الطوق الآخر الذي يحتمي به النظام في الداخل عن طريق خطاب قوي، واضح، صريح قبل كل شيء يوجه إلى المواطنين السوريين من الطائفة العلوية يكون مفاده: نحن بحاجة إليكم في بناء سورية المستقبل.

الجميع عليه أن يفهم بأن عهد إلغاء وإقصاء الآخر قد ولّى إلى غير رجعة ولن تكون كل هذه التضحيات جسرا لإيصال ديكتاتوريات أخرى للتحكم بأعناق السوريين تحت أي مسميات كانت، دينية، قومية أو ادعاءات وطنية زائفة.

المجلس الوطني السوري أكبر فصيل سياسي مقارنة مع المنبر الديمقراطي، المؤتمر الوطني، هيئة التنسيق وغيرهم من فصائل المعارضة السياسية من خلال إعادة هيكلته بزيادة في أعداد الأعضاء أو تبديل الوجوه القديمة بنقلها من لجنة إلى أخرى أو رئيس بآخر لا يقوم بعمل يخدم الحراك السياسي، يخفف من وطأة الضغوط الموجودة في الداخل، بالتالي لا تتخذ خطوة باتجاه حل الأمور في سورية. المجلس بحاجة إلى إستراتيجية جديدة، تغيير نوعيّ في أعضائه لا كميّ. إذا أراد المجلس أن يكون الخيار الأفضل عليه استيعاب ممثلين عن كافة الأطياف السياسية السورية، من خلال تمثيل حقيقي ينوب عنهم لا شخصيات تمثل فقط أنفسها، صبرا وسيدا أنموذجا. أيّ بديل لا يضم أطياف المجتمع السوري الرئيسة لن يكتب له النجاح سواء كان ذلك برلمان ظل أو حكومة منفى.

من يريد لنظام الأسد والبعث الحاكم أن يزول عليه أيضا أن يتفهم بأن في سورية قوميات أخرى غير العربية وأديان أخرى غير الأغلبية المسلمة وطوائف ومذاهب وهم بحاجة إلى التمتع بحقوقهم القومية التي سلبت في ظل الحكم الشمولي وإلى ممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة. عدم الاعتراف بالشعب الكردي في العهود والمواثيق الوطنية لا يلغي وجودهم ويزيلهم من الخارطة فهم من سكان المنطقة الأصليين إلى جانب إخوتهم العرب، السريان، الأشوريين وغيرهم من الشعوب العريقة في منطقتنا. الإخوة المسيحيون بمختلف طوائفهم على أرضهم

التاريخية مواطنون سوريون بامتياز قبل أي انتماء آخر. تهميش مثل هذه القضايا الملحّة أو وضعها على الرف يخدم النظام ويطيل من عمر الصراع الدموي ويزيد من معاناة شعبنا الذي تحول إلى نازح، لاجئ، معتقل، جريح أو مشروع شهيد.

يقول الأخضر الإبراهيمي إذا لم يبذل المجتمع الدولي جهودا فعالة أكثر مما هي عليها الآن فإن سورية سوف تتحول إلى صومال آخر.

أضيف إلى ذلك دون أن تبذل المعارضة جهودا فعالة أقوى مما هي عليها الآن لتوحيد الصف السوري من خلال قبول أحدنا الآخر على اختلافاته والاعتراف بحقوقه القومية والدينية والمذهبية ضمن وطن سوري واحد يلمّ شمل الجميع ستتحول سورية إلى بلقان جديد.

فرسان الهجن

انتفاضة الشعب السوري ضد النظام الاستبدادي والذي تحولت إلى ثورة تمرّ في مخاض طويل وعسير، تم قرصنتها بغية تمييعها، إفراغها من أهدافها وكسر إرادة أبنائها لكي تخرج بالتالي إن نجحت بوليد مشوه، كل ذلك خدمة لأطراف إقليمية ودولية وحتى خدمة للنظام نفسه الذي استخدم كل ما استوجب استخدامه من عنف مدعوما من حليفيه روسيا وإيران ومستفيدا من صمت وتخاذل الدول الكبرى المتوجسين من التغييرات التي رافقت الربيع العربي، تغييرات بالنسبة لهم مجهولة التوجه في منطقة إستراتيجية ليست غنية بموارد النفط والطاقة فحسب بل تعتبر أيضا بؤرة لتصدير الخطر على الأمن القومي من منظور مختلف تلك الدول.

الدلائل على أرض الواقع تشير إلى أن الأسد سوف يتابع مسيرته في بحر الدماء غير آبه لحياة السوريين ليس فقط حتى 2014 بل ربما أبعد من ذلك.

في الوقت نفسه تتعثر المعارضة بشقيها السياسي والعسكري فالأولى لم تتمكن من احتواء المكونات السورية معها من جهة ومن جهة أخرى فشلت وبشكل ذريع في عملية توظيف الدعم المالي الإقليمي والدولي لتسخير الفصائل المسلحة المختلفة لإرادة سياسية واحدة ووضعهم في خدمة الثورة وكذلك لم تمتلك الشجاعة الكافية للتشهير بالمتشددين الجهاديين الذين أصبحوا وبالا على الثورة، حيث لهم برنامجهم الخاص بعيدا عن الأهداف والأسباب التي خرج من أجلها السوريون وواجهوا رصاص النظام بصدورهم.

في هذه المرحلة من عمر الثورة السورية وتزامنا مع سماع الكثير من اللغط حول إنشاء حكومة هنا وأخرى هناك من قبل قوى مختلفة معارضين، أنصاف معارضين وموالين، علينا جميعا طرح السؤال التالي على أنفسنا قبل غيرنا:

من المستفيد؟

جبهة النصرة مشروع تركي بامتياز خلق بالتعاون مع عرب شوفينيين لوأد أي استحقاقات قد يتوصل إليها أكراد سورية. كما أن حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي كانت له الأيادي البيضاء في انتفاضة الكرد ضد النظام في 2004 يضع نفسه في الخانة نفسها كمشروع بعثي بامتياز وبين مشاريع هذا وذاك يسقط الفأس على رؤوس شعبنا الأعزل.

على الجميع أن يعرف بأن تعامل نظام البعث وعلى رأسه بشار الأسد مع الأقليات وعلى وجه الخصوص تعاطيه مع القضية الكردية في سورية

ليس إلا تكتيك لكسب ودهم وتحييدهم بشكل مرحلي فقط.

حتى لو سلمنا جدلا بأن الأسد يميل إلى منح الأكراد إدارة ذاتية في مناطقهم ليس حبا بهم ولكن كرها بحكومة أردوغان التي تدعم المعارضة المسلحة والسياسية ضد حكمه ولوضع الأتراك في مأزق حرج في مواجهة الشعب الكردي في تركية، يجب ألا ننسى بأنه لن يستطيع مخالفة أوامر أسياده الطائفيين في طهران الذين ليسوا بأفضل من تركية عندما تتعلق المسألة بحقوق الشعب الكردي، كما أن الأغلبية الساحقة من الكرد هم مسلمون سنة. إنها ليست سوى لعبة لكسب الوقت.

كرد سورية لابد لهم من التنسيق مع الفصائل الديمقراطية المعتدلة من المعارضة السورية فهم الشركاء في الوطن.

بينما يستمر الصراع على المناصب والرواتب والمعابر وتوزيع الغنائم قبل النصر تستمر آلة القتل بحصد أرواح مواطنينا وتدمير مقدرات بلادنا بشراكة الجميع إلا الشعب، ويتبدد حلم السوريين في نيل حريتهم والتخلص من حكم الاستبداد وإحلال نظام ديمقراطي تعددي مدني يوما بعد الآخر فالرياح تجري بما تشتهيه سفينة النظام، لقد سبق وحذر من المتشددين، الإرهابيين وهاهي القاعدة والنصرة وغيرهما أصبحوا حقيقة وأمرا واقعا.

حتى أمد قريب كان المترفين من عرب الخليج يربطون أطفالا دون سن العاشرة من الدول الفقيرة مثل السودان وشرق آسيا على ظهر الجمل أو الهجن مقابل مبالغ مادية زهيدة تدفع لذويهم في ظروف أشبه بالعبودية.

لاشك أن هناك الكثيرين من الشخصيات والقوى الوطنية المخلصة في سورية، همهم الأول والأخير هو الوطن والذين تأبى عليهم أنفسهم أن يكونوا فرسانا لتركية أو لقوى إقليمية أخرى أو للنظام نفسه لكي يتم ربطهم على الهجن أو الجمل في بداية السبق وإنزالهم بعد الانتهاء إن أحسنوا الأداء حظوا بوجبة دسمة وإن خسروا فلهم الجلد.

لإيجاد نظام بديل
لا بد من معارضة بديلة

استمرارية الصراع على امتداد الجغرافية السورية لعامها الرابع هو دليل قاطع على الفشل الذريع لكل الجهات المنخرطة في الاقتتال بكافة المعايير، من يدعي غير ذلك هو منفصم عن الواقع لا يرى الأمور إلا من منظور واحد. النظام فشل ولا يزال في القضاء على المناوئين له من خلال تمسكه بحلوله الدموية وإصراره على استخدام البراميل المتفجرة لقتل عامة السورييمنن بأقل تكلفة ممكنة في سبيل القضاء على كل مخالف له، من لا يتم تصفيتهم جسديا يمكن شطبهم من سجلات الأحوال المدنية طبقا لسياسته المريضة. المعارضة من جانبها فشلت في إقناع السوريين قبل العالم الخارجي بكفاءتها كبديل سياسي يمكن الاعتماد عليه نظرا لتواجد موازين القوى على الأرض في أيدي مقاتلين يخضعون لنفوذ تيارات دينية إسلامية مختلفة منها المتشددة ومنها المتطرفة، جبهة النصرة الملتحقة بتنظيم القاعدة رسميا على سبيل المثال. المدرك للشأن السوري يستطيع أن يرى بوضوح بأن معارك الطرفين سوف تطول لكن فرصتهما

في حكم سورية قد انتهت نظرا لعدم القبول بأي منهما على المستويين المحلي والدولي على حد سواء.

اتهام الأسرة الدولية بعدم أهليتها للقيام بالمهام المنوطة بها وأهمها وقف القتال، حماية المدنيين وإنقاذهم من براثن الموت اتهامات محقة نابعة في أغلب الأحيان من الشعور المتكرر بالإحباط في التوصل إلى وقف لنزيف الدماء السورية إلا أن السبب الأساسي لعدم قيام الأسرة الدولية بالوقوف إلى جانب السوريين واتخاذ موقف يحسم الصراع وينهي مأساتهم هو افتقاد الأرضية الممهدة للتدخل نظرا لعدم وجود معارضة بديلة تحمل رؤى واضحة تستقطب السوريين للالتفاف حولها.

الشيء الوحيد الذي يتفق عليه الجميع هو غياب الحلول، فقدان بوادر التسوية وعدم وجود أي بصيص للأمل في الأفق القريب ما يعني استمرارا للقتل والتهجير والانتقال من وضع سيئ إلى آخر أشد سوءا .

للخروج من عنق الزجاجة المليئة بالدماء هناك احتمالان:

الأول:

بروز معارضة بديلة قد تضم بعض قوى الائتلاف، المجلس الوطني، المجلس الكردي، ربما شخصيات من العلويين المعارضين الصامتين تجاه سياسة الأسد الأمنية شريطة أن يجمعهم الهم الوطني المشترك بعيدًا عن الشعارات الدينية والقومية المتطرفة، معارضة تكون مصدر توافق داخلي من غالبية المكونات السورية وتكون مؤهلة لتحظى بدعم خارجي لأخذ زمام المبادرة واستلام دفة القيادة التي من شأنها إيصال عموم السوريين إلى بر الأمان من جديد.

الثاني:

الاتفاق على صيغة للمحاصصة الطائفية والقومية على غرار ما هو قائم في لبنان والعراق.

أخطاء دول أصدقاء سورية تكمن في محاولتهم لم شمل قوى معارضة لا تجمعهم روابط فكرية مشتركة سوى العداء للنظام تحت مظلة واحدة، في

البداية تمثلت بالمجلس الوطني السوري وفيما بعد بائتلاف قوى الثورة. الحل يكمن في فصل مختلف قوى المعارضة عن بعضها البعض ليظهر كل على حقيقته ويكون مسئولا عن أفعاله ويتحمل تبعاته. لابد من فصل التيارات الدينية التي تسعى إلى تبديل سلطة ديكتاتورية حاكمة بأخرى أشد ديكتاتورية تحت مسميات مختلفة، عن الفصائل الوطنية الأخرى التي تريد أن ترى سورية دولة مدنية ديمقراطية تعددية.

يمكن تحت الضغوط الإجماع بين قوى علمانية وأخرى دينية متطرفة أو تيارات قومية شوفينية مع أخرى ليبرالية في صف واحد، لكن من الجنون أن نتوقع نجاحهم معا. حشد الطاقات يمكن أن تتم بين قوى تحمل هما وطنيا واحدا ولها رؤى أيديولوجية متقاربة.

قبل السعي لإيجاد نظام حكم بديل عن البعث والأسد لا بد من إيجاد معارضة بديلة.

في مهب الريح

الليل بدأ يطول رويدا يسرق من دقائق وساعات النهار الصاخب، يخيم بصمته على الأمكنة، يرمي بظلال كئيبة من العتمة والسقم على أهلنا المشردين في العراء ملتهما ما تبقى من ضوء ودفء نهارات الخريف الآفل. سوريون في خيم لم تحميهم من حر الصيف الملتهب ولن تقيهم برد الشتاء القادم، إخوتهم في الوطن ليسوا بأفضل حال في ظل الرعب، الترويع والتجويع، حيث تحوّل الوطن إلى حقل للرمي والمواطنون إلى أهداف ثابتة ومتحركة، محنة عصيبة على ما يبدو باتت لا تهم قريبا ولا بعيدا. الكلّ يلوم الكلّ، بالتالي ليس هناك من نستطيع أن نحمّله المسؤولية سوى شعبنا الأعزل الذي لاذ بالفرار داخل وخارج أسوار وطنه، ليس خشية على شيء سوى حياته.

النظام بمن حوله من العسكر المقربين ومحبيه من البعثيين وموظفي الدولة أصحاب الامتيازات يحاولون جاهدين الدفاع عن البلد ومواطنيه وإنقاذ العلمانية بشخص الرئيس الذي بدونه لا استقرار في

البلاد من الهجمة الأصولية الشرسة، ما هي إلا أيام وتنتهي من القضاء على الفلول الباقية من المجموعات الإرهابية حسب إعلامها الرسمي.

المعارضة بمختلف فصائلها المسلحة تريد حماية المنتفضين المطالبين بالحرية من فتك أجهزة النظام وشبيحته وتحاول تخليص الشعب من براثن ديكتاتور طغى وتجبّر، رئيس ورث السلطة في البلاد بزبانيتها وجثم على صدور أهله دون وجه حق لسنوات ومن قبله والده لعقود. لقد أصبح النظام هشا وسرعان ما تلتهمه نيران غضب الشعب الثائر.

المجتمع الدولي يبذل كل ما في وسعه، بدءا بالعقوبات الاقتصادية وصولا إلى إيفاد مبعوثين دوليين كل ذلك في سبيل إيجاد مخرج للأزمة المستعصية وبالتالي التوصل إلى حل يوقف نزيف الدم، لكنه يريد معارضة موحّدة ونظاما يقبل بشروطه!

روسيا موقفها أكثر صلابة من أي وقت مضى!

الحقيقة أن الشعب السوري من خلال الحصاد المر الذي عاناه قرابة عشرين شهرا من الزمن، الثمن الباهظ الذي دفعه من دماء أبنائه أصبح لا يعوّل في شيء على المجتمع الدولي ولا على ما سيقوم به المبعوث الأممي الأخضر الإبراهيمي الذي يفتقر أصلا لرؤية واضحة أو مبادرة بديلة عن خطة سلفه، الذي لم يفلح في تنفيذ بند واحد من بنودها الستة. إيران تحمّل الإبراهيمي مقترحا لحل الأزمة في سورية، هل هذا ما كان ينتظره الشعب السوري من المبعوث الدولي ؟! فقط العناية الإلهية بإمكانها إنجاح مهمة السيد الإبراهيمي في وقف شلال الدم السوري.

الآن في ظل مثل هذه المعطيات ما هي السيناريوهات المحتملة ؟ لاشك سيكون الجواب الأكثر مصداقية هو استمرار دوامة العنف، النظام يستمر في القتال والمعارضة أيضا، فيما الأسرة الدولية تقف متفرجة، عاجزة عن القيام بمسؤوليتها القانونية والأخلاقية. المعارضة المشتتة تحمل قسطا كبيرا من المسؤولية واستمرارها في هذا الانقسام تعطي العالم الخارجي العذر في تعاطيه السلبي مع الأزمة بحجة صعوبة الاعتماد على من سيخلف النظام، لن يخفف من آلام شعبنا ويغير من الموقف الدولي الرخو شيئا أكثر من تقارب كافة فصائل المعارضة، السياسية منها والعسكرية، هذا مطلب وطني ملحّ يريده كل سوري يوما قبل الآخر.

هناك المستفيدون من استمرار الاقتتال في سورية ! هناك من يريد رؤية بلادنا ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية والدولية! هناك من لا يريد نجاح الثورة السورية ومعها امتداد الربيع العربي!

الخاسر الأول والأعظم من استمرارية الصراع الدموي هو الشعب السوري بجميع مكوناته فمهما طال أمد الأزمة تفاقمت معها أعداد الضحايا من أرواح السوريين مدنيين وعسكريين وطالت معها الحاجة إلى وقت أطول لاندمال الجروح وتقارب المشاعر، صفاء النفوس، عودة الألفة واللحمة الوطنية، مرحلة شاقة لإعادة إعمار البلاد والعباد سوف تستغرق ردحا من الزمن.

الامتحان العسير !

العالم الخارجي يدير من جديد ظهره للسوريين تاركا البلاد برسم الدمار، وفاسحا المجال للنظام كي يبطش بالشعب مستخدما ترسانته المدججة بأدوات القتل الهمجية تفتك بهم، تنهش أجسادهم وتزهق أرواحهم، مصرّا على استمراره في سياسة التعنت وتجاهله رفض الشعب لبقائه وما ورد من تصريحات على لسان الرئيس بشار الأسد الأخيرة عن نيته البقاء حتى 2014 واستعداده لترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية من جديد وإصراره على عدم الاعتراف بالمجازر الوحشية التي ارتكبت بحق المواطنين السوريين ليس سوى تأكيد على فقدان كل بصيص أمل للخروج من الأزمة الدامية عبر حل أو حوار سلمي.

أطياف المعارضة عليها عدم الاستمرار في التخبط بمساراتها، تجنب حمل رايات الوطنية الزائفة من خلال مزاعم لا تختلف في جوهرها عن شعارات النظام البائس ولا تعكس حقيقة الواقع المؤلم في البلاد من أقصاها إلى أقصاها، كما أن على الائتلاف المعارض أن يقدم صورة أكثر

وضوحا فيما يتعلق بمقدار نفوذه على أرض الواقع لكي يبشر بالخير في سورية المستقبل وإمكانية ضبط مكامن الأسلحة .المعارضة السياسية والعسكرية تمنح لا إراديا نظام البعث أدواة البقاء بدلا من أسباب الفناء، النظام يستفيد من الشرذمة بين فصائلها ومن نفوذ الجماعات الإسلامية المسلحة على الأرض ميدانيا.

بقاء السلطة في سدة الحكم لا يعود فقط إلى المواقف الدولية ولو كان الأمر كذلك لبقي كل حكام دول الربيع العربي الذين كانوا يحظون بمباركة الدول الغربية في مناصبهم، بل إن المواقف الشعبية العازمة على التخلص من أنظمتها هي التي صنعت مفتاح نجاح ثورات دول الربيع العربي.

الاعتراف بالخصوصية السورية وتنوعها أمر لابد منه ولابد لقوى المعارضة من سد العجز الناتج عن افتقارها للرؤى المستقبلية للبلاد، تلك الرؤية التي من شأنها تكوين الحافز والدافع لدى مختلف مكونات الشعب السوري.

تغيير النظام بنظام آخر لا يشكل حافزا كافيا للمواطن العادي في ظل الضبابية القاتمة والفوضى البهيمية التي يقودها النظام ويحاول تشويش ذهن وبصيرة المواطن العادي وفي ظل تشتت قوى المعارضة وشبه غياب تام لملامح الوطن الذين يريدونه.

مرة أخرى خطاب المعارضة بحاجة إلى الارتقاء لتطلعات عموم السوريين، لا قسما أو مكونا دون الآخر كما يجب التأكيد على أن المعتدلين

من فصائلها هم من يتحكمون بزمام الأمور وليست الجماعات المتطرفة التي يتوجس المجتمع الدولي من خطورة وقوع الأسلحة بين أيديها.

لا بد من الاعتراف بأن النظام قد نجح على أصعدة مختلفة خلال سنتين من عمر الثورة السورية فبالإضافة إلى الدول الداعمة له نجح أيضا في عملية تحييد الغرب الأوربي والأمريكي من خلال فزّاعة القاعدة والجماعات الإرهابية والمؤشرات على أرض الواقع تشير إلى توجه الأمور حسب السيناريوهات التي يرسمها النظام، هذا إن لم تتوفق قوى المعارضة على لمّ شملها.

لا شك أن الموقف الدولي له أهمية بالغة للتوصل إلى وقف لإراقة دماء السوريين، لكن بعد مرور سنتين على عمر الثورة من المفروض أن يصبح جليا للسوريين بأن التعويل على العالم الخارجي لا يجدي نفعا دون تكاتفهم أنفسهم، بل يطيل من معاناتهم.

للتوصل إلى قرار دولي يتم بموجبه الزام أركان النظام السوري بالخضوع لرغبات الشعب وتطلعاته إلى الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية يجب التفاف المعارضة حول الهدف المشترك. إقناع الرأي العام الشعبي السوري يأتي قبل الرأي العام العالمي والموقف الوطني السوري هو الذي سيفرض نفسه على القرارات الدولية ويرغم المجتمع الدولي على القيام بواجبه تجاه السوريين الذين تحولوا إلى شعب هائم على وجهه داخل وخارج الوطن. ليس خافيا على أحد التنوع في نسيج المجتمع السوري ولكي يحس الجميع بأنهم أصحاب هذه الثورة وأهلها لا بد

من مشاركتهم، معظم السوريين لا يستسيغون سماع كلمة تقسيم لجسد الوطن السوري لكن الجميع يتقبلون رؤية سورية بلدا مشتركا للجميع ليس فقط كسوريين بل بخصوصياتهم الدينية والمذهبية والقومية، هذه المشاركة لن تتحقق إلا عبر توافقية تفضي إلى المحاصصة، بحيث يحصل كل مكون على نسبته من السلطة المقبلة في دمشق كضمان لعدم استفراد طرف، مذهب أو أيديولوجية معينة بمقاليد الأمور ويرجع الحال بالبلاد إلى حقبة شبيهة بعهد البعث.

بين جور النظام وغباء المعارضة

من المحزن أن نرى النظام متماديا في غيّه غير مكترث بأرواح مئات الآلاف من السوريين فمن لا يموت بآلته الحربية عليه مواجهة الحصار، البرد، السقم، من المؤسف حقا أن يسترسل هذا النظام في تدمير سورية بلدا وشعبا بوحشية قلّ نظيرها مستمتعا بتهجير وتشريد الملايين من المدنين نساء، أطفالا، شيبا وشبابا وسوقهم باتجاه المجهول غير عابئ بمستقبل جيل كامل من الأطفال والشباب السوريين الذين باتوا في العراء كل هذا في ظل صمت دولي مخزٍ يعكس سلوك قادة دوليين جلّ اهتمامهم هي المصالح السياسية لبلدانهم .

ليس ذلك فحسب بل الطامة الكبرى أن نرى المعارضين الذين من المفروض أن يكونوا أشد الناس حرصا على سلامة السوريين وتقصير أمد معاناتهم هم بأنفسهم يشاركون النظام في عبثه بالبلاد من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون، تشتتهم وسعيهم لامتيازات شخصية، تجاهلهم لاحتياجات الشارع السوري، جهلهم للمعايير السياسية التي من خلالها

يتم تقييم ثورتهم، انصياعهم لرغبات الدول الإقليمية والأهم من كل هذا وذاك تشجيع بعض شخصيات المعارضة على المزيد من الانزلاق في مستنقع الطائفية النتن (اللبواني) أنموذج ليساهم قسم من هذه المعارضة ومن خلال هذا السلوك المتردي واللا مسئول مع النظام في اختطاف الثورة من أصحابها الحقيقيين وهم عامة السوريين بمختلف طوائفهم وإثنياتهم الذين كان كلّ طموحهم هو الانتقال ببلدهم من حكم مستبد إلى دولة مدنية ديمقراطية تعددية.

تماسك نظام البعث وتعاون حلفائه الصميمي معه يشكل أحد عوامل بقائه لكن العامل الأهم هو الأداء الركيك لشخوص وتنظيمات المعارضة السياسية بالدرجة الأولى وانتظارها مبادرات الحل من القوى الإقليمية والدولية وحتى ذلك دون بذل جهود تذكر من أجل التأثير على الرأي الشعبي العام في مختلف دول العالم الذي بدوره يؤثر على القرارات السياسية في بلدانهم والتي باتت الآن تميل بشكل أو بآخر لصالح النظام على وجه الخصوص بعد تسوية الكيماوي هذا بعد أن كان في صف الثورة وترنحت يمينا وشمالا قبل أن تميل لصالح النظام كتحصيل حاصل فالنجاحات التي تحققها السلطة في دمشق تأتي تتويجا لعدم ارتقاء المعارضة السياسية لمستوى البديل المؤهل لقيادة المرحلة وخذلانها للشعب السوري.

التذرع بأن النظام كان مسيطرًا على عقول وتفكير السوريين وجاثما على صدور الناس لأكثر من أربعة عقود وبأن هذه هي بواكير الممارسة الديمقراطية الفعلية والتي تعدّ عبارة عن مسيرة طويلة هذه ليست سوى

بداياتها، بعض من هذا التذرع صحيح لكن يجب أن تبدأ بالخطوة الواثقة في الاتجاه الصحيح وإلا فلن تدنو من هدفها ولن تنال مبتغاها مهما مرّ الزمن وطالت المسيرة.

تهافت أعضاء الائتلاف على المناصب السيادية في هذه المرحلة الحساسة من عمر الثورة وكأن ممارسة الديمقراطية متوقفة الآن على من يكون رئيسا للائتلاف وقبلها للمجلس الوطني، ذلك ليس سوى هدر للطاقات وبعثرة للإمكانات التي يمكن الاعتماد عليها في توثيق الارتباطات وبناء جسور من التواصل مع مختلف القوى الدولية والإقليمية والأهم من كل ذلك أن يثق الشعب السوري بأن هناك رجال دولة بإمكانهم إدارة المرحلة الانتقالية وإيصالهم إلى بر الأمان.

الديمقراطية الحقيقية بالتالي هي التي سوف تأتي من خلال صناديق الاقتراع في سورية حرة وليس أن يجتمع مئة أو مئتا شخص يتزاحمون للتمرن على أصول القيادة لبضعة أشهر من خلال التناوب على الزعامة فيما يقتل السوريون يوما تلو الآخر.

رأفة بأرواح السوريين، آلامهم وبوطن يدمّر طوبة تلو الأخرى، اتقوا الله يا معارضة واتخذوا من رموز الثورة الليبية أمثال المستشار مصطفى عبد الجليل والدكتور محمود جبريل وغيرهما قدوة تحتذون بهم فهم عملوا على إيصال منجزات ثورتهم إلى أيدي القرار الشعبي الليبي مع النأي بأنفسهم عن أي منصب.

الخيارات المؤلمة

القوى الدولية تمارس أسوأ أنواع الغبن السياسي تجاه الشعب السوري في محنته ومعاناته التي شارفت على دخولها في عامها الرابع متمثلا بانحصار جلّ تفكيرهم في شكلين للسلطة أحلاهما مر. هذا الأمر هو الذي يفسر مواقفهم المتخاذلة تجاه الأحداث الدامية في البلاد ويمنع توصلهم إلى اتفاق في مجلس الأمن من شأنه وضع حد للمذابح التي يتعرض لها السوريون، هذه ليست مجرد استنتاجات بل هي وقائع صبغت صيرورة الأحداث المؤلمة في البلاد وسدّت جميع منافذ الخلاص أمام السوريين الطامحين إلى الانتقال السلمي ببلادهم من حكم استبدادي إلى آخر ديمقراطي، تعددي، مدني .

يقول السويدي يان إلياسون نائب الأمين العام للأمم المتحدة في كلمة له ألقاها في جامعة أوبسالا الأسبوع الماضي بمناسبة مرور مئتي عام من السلام على السويد وانقضاء مدة مئة عام منذ الحرب العالمية الأولى، نشرت صحيفة سفينسكا داغبلادت مقتطفات منها:

صعوبة التوصل إلى اتفاق في مجلس الأمن هو العائق أمام التوصل إلى حل سلمي والحرب الدائرة في سورية هي الأكثر صعوبة، إيلاما ومصدرا للقلق أكثر من أي بقعة أخرى في العالم اليوم.

يضيف إلياسون قائلا: لقد طال أمد النزاع في سورية كثيرا، حيث كان حله أسهل لو أن العالم الخارجي تدخل منذ بداية التظاهرات المناوئة للسلطة، المشكلة أن أعداد الضحايا ترتفع، يزداد حجم الدمار، تتفاقم المعاناة وتتعاظم درجة الكراهية بين الأطراف المتنازعة مع كل شهر يمر.

سورية وطن فقد أمل الخروج من نفق القتل المظلم، مع التفاتة بسيطة إلى الخلف لاستحضار أسباب الاحتجاجات السلمية نرى أنها كانت في مجملها ترنو للوصول إلى تحرير المواطن من عقدة الخوف، كسر طوق التبعية، الشعور بالعجز تجاه استبداد النظام والرعب الذي زرعه في نفوس المواطنين على مدى عقود من الزمن، من كتم للأفواه، غياب العدالة الاجتماعية، الاستحواذ على الامتيازات من قبل شرائح محدودة من المجتمع، تصنيف النظام للسوريين في درجات متباينة على أسس طائفية، حزبية، قومية، طبقية كانت من أهم العوامل المحركة للشارع السوري للنهوض ضد الطغيان.

الذي يحصل الآن في ظل التأثيرات الدولية والإقليمية على أطراف النزاع هو تغيير كامل لتوجه الثورة ووصولها مسارات غدت بعيدة عن العوامل المذكورة آنفا ليس ذلك فحسب بل في ظل المعطيات التي يفرزها الوضع المأساوي فإن عوامل الثورة ستبقى قائمة حتى لو رحل

النظام فهناك الجماعات الإسلامية المناهضة للسلطة وخطابها السياسي الطائفي الذي لا يبشر بالخير والتي تأتي من بعض شخصيات المعارضة السياسية الذين يقدمون أنفسهم كمشاريع قادة المستقبل، هم يريدون كما قال "كمال اللبواني"على قناة الجزيرة بأن: سورية ستكون دولة عربية إسلامية سنية شاء من شاء وأبى من أبى!؟

بير جونسون محرر في معهد الشؤون الخارجية السياسية السويدية، مراسل سابق في الشرق الأوسط ومن المتابعين والمعلقين للشأن السوري منذ انطلاقة الاحتجاجات ربيع 2011 يقول في الصحيفة نفسها والتي تعدّ من كبريات الصحف السويدية اليومية:

بدأت الاحتجاجات في سورية سلمية بعد خمس سنوات متواصلة من الجفاف من قبل شعب مظلوم ضد حكم ديكتاتوري متأثرا برياح التغيير التي هبت مع الربيع العربي وأطاحت بحكام تونس، مصر، اليمن، ليبيا، الفرق بين سورية ومصر أن الجيش السوري لم يقف بجانب الثائرين وتحوّل إلى صراع مسلح سرعان ما سيطرت المجموعات الجهادية الإسلامية الداخلية والخارجية على جانب المعارضة، اثنان منهم على الأقل على ارتباط مباشر مع تنظيم القاعدة الإرهابي (جبهة النصرة ودولة العراق والشام).

يتابع يونسون: الحقيقة المؤلمة الآن هي أنّ هذه الحرب ليست بين شعب مسالم متعطش للحرية وبين نظام شمولي جائر ومعزول، أعمال العنف التي تسببت بتشريد ملايين السوريين من بيوتهم يتحمل مسؤوليتها

الطرفان أو بالأحرى جميع الأطراف لأنّ مسلحي المعارضة قاتلوا بعضهم البعض مثلما فعلوا مع النظام.

تضيف الصحيفة:

قبل أعياد الميلاد بقليل نشر معهد دراسات الشرق الأوسط في واشنطن دراسة رائدة لمختارات بعنوان "العلوم السياسية في الحرب السورية " اشترك فيها 17 باحثا سياسيا لتحليل الحروب الأهلية التي جرت بعد الحرب العالمية الأولى بغرض استنباط العبر منها في الحرب المحتدمة في سورية اليوم.

تقول الدراسة : 125 حربا أهلية تجاوز عدد القتلى فيها على الألف شخص في السنة نشبت منذ 1945، دامت تلك الحروب وسطيا 10 سنوات، هذا يعني أن الحرب السورية ما زالت في بداياتها، غالبية تلك الحروب انتهت بانتصار عسكري لطرف على آخر، اثنان من أصل ثلاثة انتصرت فيها القوات الحكومية، واحد من أربعة انتهت من خلال التوصل إلى توافق سياسي.

هذه الدراسة تدفعنا إلى التفكير بنسب النجاح المأمولة من مؤتمر جنيف 2 المزمع عقده في" مونترو" السويسرية أواخر الشهر الجاري، كل الدلائل تشير إلى أن فرص التوصل إلى حل مبدئي في ضوء المعطيات الموجودة على الساحة الآن شبه معدمة، حيث الأطراف التي تنفذ عمليات القتل والتدمير، نظام البعث بقيادة الأسد لن يقبل بأي تنازلات عن السلطة خاصة مع تصريحات كيري الأخيرة حسب

نيويورك تايمز التي مفادها بأن إيران قد تشارك في المؤتمر، الأمر الذي يشجع النظام على الاستمرار في قصف المدن بالبراميل المتفجرة ولا ننسى الخلافات الكبيرة والاستقالات الجماعية من الائتلاف المعارض الذي لا يزيد إلا في الطين بلّة. من جهة أخرى أين مصلحة إيران من رحيل الأسد؟ أين مصلحة جبهة النصرة ودولة العراق والشام من سورية دولة يعمّها السلام؟ .

كان الله في عون السوريين

ثلاثة أعوام من الحرب وويلاتها تمر، حصدت خلالها آلة قتل النظام أرواح مئات الآلاف من السوريين ودمرت أكثر من ستين بالمائة من البنية التحتية للبلاد، حوّلت نصف السكان إلى مشردين والنصف الآخر إلى رهائن، والأمرّ من كل هذا وذاك هو أن القادم قد يكون أعظم فلا بوادر لبصيص ضوء في نهاية هذا النفق المظلم. ما سلف يحتم علينا كسوريين بمختلف انتماءاتنا أن نراجع أنفسنا من خلال وقفة تأمل لإعادة النظر في أسباب الوصول إلى هذا الدرك الخطير وهذا الحصاد الدامي والمروع، علينا تحليل دواعي الإخفاقات وتداعياتها الرهيبة على الوطن والمواطن وماهية الأحصنة التي نراهن نحن عامة السوريين عليها.

في التاسع عشر من شهر آذار الجاري شاءت الظروف أن أحضر ندوة عن الشأن السوري في مبنى البرلمان السويدي، تم خلالها عرض تقارير عن الانتهاكات الجسيمة التي قام بها النظام مزودة بصور ووثائق مروّعة لانتهاكات ترقى إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية.

الخبير السويدي والمحرر المعروف في المعهد السويدي للسياسة الخارجية

بير جونسون قدم تحليلا منطقيا لمجريات الوضع الميداني وأنواع الفصائل المسلحة المقاتلة في سورية، اتسم تحليله بالتشاؤم إلى حد ما نحى فيها إلى إمكانية انتصار النظام على المعارضة.

من الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة شارك هيثم المالح حيث تطرق إلى البدايات السلمية للثورة وإجبار النظام للسوريين على العسكرة وهذا ما حصل بالفعل. إلا أنه أضاف قائلا: بأن داعش وحزب العمال الكردستاني يقتلان الشعب السوري. لكنه تجنب الإفصاح عن موقفه من جبهة النصرة المرتبطة رسميا بالقاعدة حين سئل بل اكتفى بقوله: أن جبهة النصرة لا تقتل السوريين.

الآن أصبح واضحا للقاصي والداني بأن العدو الأساس للشعب السوري والثورة السورية هو الجماعات الإسلامية المتطرفة وموقف بعض رموز الائتلاف الصامت، المالح أنموذج يعني رضاهم عن عمل هؤلاء المتطرفين ويعني أيضا تجسيدا لطائفية الحرب والمضي في تحريف الثورة من مسارها نحو المزيد من الاقتتال المذهبي والنزوح أكثر فأكثر باتجاه الحرب الأهلية كما بدأت تسمى دوليا وهذا ما يقضي على كل أمل للتعاطف الخارجي مع محنة الشعب السوري.

حزب العمال الكردستاني أو فرعه الاتحاد الديمقراطي يقاتل جبهة النصرة وداعش في المناطق الكردية حصرا وعلى هذا فإن السيد المالح يعتبر عناصر جبهة النصرة هم أفراد الشعب السوري الذين يقتلون على أيدي عناصر الحزب المذكور.

الإسلام السياسي الذي يحاول تنظيم الإخوان المسلمين تمثيله يفتقر إلى كل عوامل النجاح وسبل الوصول إلى السلطة مسدودة أمامهم في سورية المتعددة الألوان. في مصر نجح مرسي في أول انتخابات تاريخية حرة نتيجة قوة التيار الإسلامي الموالي للإخوان هناك من جهة ورغبة عامة المصريين اختبار مصداقية الحزب وهم في سدة الحكم بعد التخلص من مبارك من جهة أخرى، لكنه أزيح عن السلطة بقوة الجيش وبمباركة دولية، فما الذي يتأمله تنظيم الإخوان في سورية وهم يفتقرون لمقومات النجاح ولا يحظون على ثلث الدعم الشعبي الذي يمتلكه إخوان مصر.

طلب الدعم بالسلاح والعتاد من القوى الإقليمية لا يخدم السوريين في قضيتهم ولن يسهم إلا في استمرارية القتل، التهجير، التدمير ويرسخ فكرة التقسيم على أسس عرقية وطائفية إلى أجزاء لا حصر لها فيها حتى السنة يجب أن تنقسم إلى علمانية وغير علمانية. الشعب السوري بحاجة إلى قرار أممي يحسم الصراع، ينهي معاناته ويمهّد له الطريق لإعادة بناء الوطن واللحمة الوطنية في دولة مدنية تعددية تتسع للجميع ولا سبيل إلى مثل هذا القرار دون وجود معارضة مخلصة لا ترى في الانتقام من النظام ورموزه حلا بل في تحقيق العدالة وسيادة القانون، معارضة تمثل أحرار السوريين جميعا، عربا، كردا، سريانا، آشوريين، دروزا، علويين، سنة وغيرهم من أطياف المجتمع السوري وتحمل معها رؤية مستقبلية عن البلاد بعيدة كل البعد عن التطرف أيا كان هذا التطرف طائفيا، دينيا، أو عرقيا.

الوطنية الرمادية

ما يزيد على المئة ألف ضحية من أرواح السوريين وأضعاف مضاعفة من الجرحى والمعاقين وملايين اللاجئين في دول الجوار في ظروف معيشية يرثى لها، ووطن ينهار طوبة تلو الأخرى بينما الأسد مازال مصرّا على صواب الحل الأمني الذي انتهجه نظامه منذ الأيام الأولى لثورة الشعب على حكمه.

الآن وفي هذه المرحلة الحرجة من حياة المواطنين يدعو الأسد إلى المزيد من الاقتتال السوري – السوري قائلا في خطبته مؤخرا (لا وطنية رمادية فهي حاضنة للفوضى والإرهاب) أي بمعنى أن من لم يحزم أمره من السوريين حتى الآن فعليهم أن يفعلوا فإما أن يحملوا السلاح وينضموا إلى شبيحته أو هم مع الطرف الآخر الإرهابي ويجب ضربهم بيد من حديد.

الرجل يستطيع أن يقول ما يحلو له. فكل الظروف تخدم نظامه.

فزّاعة القاعدة والمتطرفين والتي كانت رسالة النظام الموجهة إلى الداخل السوري وإلى المجتمع الدولي أصبحت الآن حقيقة واقعة وقد نجح في صياغتها بدرجة امتياز.

المتطرفون أنفسهم الذين قدموا إلى سورية بحجة الدفاع عن الثورة

السورية هم أول من خدموا نظامه وأثبتوا صدق ادعاءاته، كما أن قوى المعارضة وعلى رأسهم المجلس الوطني سابقا، والائتلاف المعارض فيما بعد خدموا ومازالوا يقدمون الخدمة تلو الأخرى لنظام البعث من خلال سياسة تفتقر لبعد النظر خصيصا فيما يتعلق بمسألة التطرف من جهة ومسألة حشد الأقليات من جهة أخرى، قيادات المعارضة وضعوا رؤوسهم في الرمال ولم تصدر عنهم أي مواقف واضحة يفصلون من خلالها ثورة شعب عن مغامرات جماعات دينية متطرفة تحمل أجندات لا تلتقي مع تطلعات السوريين البتة، بل على النقيض من ذلك بدت بعض أطراف المعارضة تهلهل لهم كونهم يقاتلون قوات النظام .

من المفروض أن يشكل حقن دماء المدنيين السوريين أسمى الدوافع التي على ضوئها يرسم الائتلاف وقيادات الجيش السوري الحر خريطة طريقهم، الآن قبل غدا ودقيقة قبل الأخرى، تحديد الموقف من الجماعات المتطرفة الذين لم يكونوا سوى نذير شؤم على سورية والسوريين هو أول مطلب شعبي، وطني وسوف يغير المعطيات داخليا ودوليا.

من يسعى إلى سورية دولة مدنية تعددية ديمقراطية حرة هو من يخدم الثورة وليس من يقاتل جيش النظام فحسب.

السوريون بكافة أطيافهم والذين عانوا من جور وإذلال نظام البعث الأسدي لعقود طويلة لن يرضوا بعد اليوم العيش في وطنهم رهائن لتنظيمات إرهابية موالية للقاعدة أو غيرها ولن يقبلوا إلا بالحرية الكاملة بديلا.

بالتأكيد هناك جهات عديدة يتحملون أسباب استمرار معاناة شعبنا السوري المسالم وآلامه، لكن يجب ألا ننسى وهن وعدم استقلالية المعارضة السياسية المتمثلة بالائتلاف التي تمضي من خيبة إلى أخرى فكل عمل لا يسهم على الحدّ من إراقة دماء السوريين أو على اتخاذ خطوة باتجاه ذلك لا يمكن تسميتها إلا بالخائبة، تزويد المعارضة بالسلاح فقط لا يضمن حسم المعركة بل استمراريتها، إقناع الخارج بعدالة مطالب السوريين، وإقناع الداخل بمصداقيتهم كممثلين مرحليين لهم وطمأنة الداخل والخارج بماهية صيغة الدولة والكيان السياسي القادم والتي من المفروض أن تحلّ مكان النظام الحالي ليس فقط بالقول بل بالممارسة على الأرض، أي من خلال سلوكية ثورية لكتائب وفصائل الجيش الحر التي من المفروض أن تخضع لقيادتها السياسية .

حتى يومنا هذا وفي ظل كل ما حدث ويحدث فإن معظم فصائل المعارضة المنضوية تحت راية الائتلاف عندما يتم التحدث عن سورية التي يريدونها لا تختلف شعاراتهم عن وحدة حرية اشتراكية.

النظام نجح في إدخال الثورة السورية في نفق الصراع الطائفي المقيت ويوما بعد الآخر ينجح بإقناع المجتمع الدولي المتردد بأن سورية حقا سوف تتحول إلى مرتع مزمن للإرهابيين إن سقط، فعلى الائتلاف النهوض من كبوته والالتزام بالمبادئ الأساسية التي من أجلها انطلقت الثورة السورية، قبل أن ينجح الأسد في تحويل السوريين جميعا إلى جيش تشبيحي يقتل أحدهم الآخر ليفنى الشعب ويبقى النظام.

داعش وداعش

تطورات الأحداث السريعة على الساحة السورية تظهر عدم جدوى إستراتيجية الرئيس الأمريكي التي وضعت بهدف القضاء على تنظيم داعش المتطرف على الرغم من إيجابية قراره في عدم إشراك كل من إيران، روسية والنظام السوري. التنظيم يتحرك بكل حرية بين سورية والعراق، يعزز مراكزه في سورية ويتقدم بأرتال ضخمة مدججة بالأسلحة الثقيلة والآليات الحربية المتطورة ويستولي على عشرات القرى الكردية في محاولة جديدة منه للاستيلاء على مدينة كوباني ثالث أكبر مدينة كردية سورية والتي تدافع عنها قوات حماية الشعب ببسالة خلال قرابة عام كامل. على الرغم من المعرفة التامة بأن داعش سوف يرتكب مجازر مروّعة بحق المدنيين كما فعل في شنكال وغيرها من المناطق إن نجح في اقتحام المدينة فإن حلف أوباما الحربي يقف موقف المتفرج وكأن داعش سورية غير داعش العراق، ما يدل على فشل إستراتيجيته قبل البدء بتنفيذها، كما أن شكوكا كثيرة تحوم حول مصداقية إدارته في التخلص التام من هذا التنظيم الذي أصبح يجيد التأقلم مع التغييرات في المنطقة مستفيدا إلى أبعد

حد من الوضع السوري المتشظي حيث تحوّل إلى أقوى حركة مذهبية متطرفة في هذه المرحلة المفصلية من عمر المنطقة عموما وسورية والعراق خصوصا. جلّ اهتمام أمريكا منصبّة على الوضع في العراق وحتى هناك لا تعدّ ما تقوم به من غارات جوية حتى الآن في الواقع أكثر من عملية إضعاف للتنظيم بغية إرضاء الرأي العام الأمريكي المستاء من تعاطي إدارته مع قضايا الإرهاب الشائكة وتحديدا فيما يتعلق بالملفين السوري والعراقي بعد قيام داعش بنحر الصحفيين الأمريكيين علانية.

للقضاء على أي حركة مسلحة لا بد قبل كل شيء من قطع أسباب استمراريتها والمقصود هنا هو التمويل والتعبئة البشرية حيث كل الدلائل تشير إلى أن أهم مصادر تمويل التنظيم تأتي من منابع النفط التي يسيطر عليه في كل من سورية والعراق ويباع النفط الخام ومشتقاته في السوق السوداء التركية ويستفيد منها طبقة نافذة من الأتراك، من ناحية أخرى فإنّ المنفذ الأهم لدخول المقاتلين الأجانب إلى الأراضي السورية يحدث أيضا من خلال الحدود التركية ما يؤكد أن هناك تغاضيا تركيا شبه رسمي يسهّل دخول وخروج المقاتلين الأجانب.

كلنا يذكر كيف كانت التصريحات النارية لأردوغان ومسؤولين آخرين أتراك في بدايات الثورة السورية والتي ضعفت تدريجيا ثم تلاشيت نتيجة تمكّن نظام الأسد من اللعب بالورقة الكردية ما جعلت الحكومة التركية تغيّر من سياستها بتشجيع معارك مستترة مضادة من خلال فتح حدودها لكي يتسرب منها الجهاديون الذين يتم استدراجهم إلى المناطق الكردية

التي بدا نفوذ حزب العمال الكردستاني جليا فيها ودعم هؤلاء المتطرفين لخلق حرب عبثية هدفها إضعاف الحركة التحررية الكردية في ساحات معارك خارج تركية، بذلك تكون تركية قد ضربت عصفورين بحجر واحد فهي من ناحية تكون قد استنزفت القوة العسكرية للحزب المذكور الذي يخوض كفاحا مسلحا ضد الدولة التركية لأكثر من ثلاثة عقود ومن ناحية أخرى تقطع الطريق أمام مطامح كرد سورية في الحصول على امتيازات قد تشكّل مصدر قوة مستقبلية لإخوتهم في القسم الشمالي من كردستان وذلك من خلال جرهم إلى مستنقع الحروب الأهلية والمذهبية والتي سوف تؤدي في المحصلة إلى تفريغ المنطقة من سكانها وتحوّلها إلى عرضة للتغيير الديموغرافي الذي ينسجم مع المصالح التركية، هذا على صعيد سورية، علينا إلا ننسى أن تواجد التنظيمات المسلحة السنية في العراق أيضا ينصب في ساقية المصالح التركية كونها تشكل حجر عثرة أمام النفوذ الصفوي القادم من إيران التي تطمح في توطيد أواصر المثلث الشيعي من خلال نفوذها على شيعة العراق والبقاء على نظام الأسد الذي يوصّلها بإيران الصغيرة (حزب الله).

لاشك أن هذا التحالف الدولي الضخم سيتمكن من إضعاف داعش في العراق ولكن لن يمضي وقت طويل حتى ظهور دواعش أخر مادام الوضع القائم في سورية على حاله.

داعش شريان الحياة وسدادة الموت

ظهور تنظيم داعش أمر طبيعي في بلد مثل العراق الذي تعرض لغزو القوات الأمريكية التي قدمت مجهزة بخطة تدمير شاملة للبنية التحتية للبلاد بكامل مؤسساتها دون أدنى اعتبار أو تحضير لإعادة البناء ومن ثم ترك المنطقة في حالة من الاحتقان الطائفي لشعب تخلص من استبداد ديكتاتور وحزب أوحد ليدخل في معمعة تناحر مذاهبي انتقامي مبني على مرارة القهر الذي زرعه نظام البائد صدام حسين.

مرحلة ما بعد السقوط بدأت بتهميش أهل السنة جميعا بحجة اجتثاث البعث. النظام السوري الذي كان يخشى مصيرا مماثلا لما آل إليه نظام نظيره العراقي دعم إعلاميا وعسكريا في الخفاء كل من وقف ضد الغزو الأمريكي حتى وإن كانوا من السنة وذلك طوال الفترة الممتدة بين سقوط تمثال صدام في بغداد وحتى اليوم الذي تفجرت فيه الاحتجاجات المطالبة بالتغيير في سورية والتي جاءت متأثرة برياح ما سمي بالربيع العربي الذي أطاح ببعض الحكام العرب وتوقف فيما يشبه المستنقع الدموي في سورية آخذة بشكل متزايد هيئة الحرب الطائفية التي ساهمت إلى حد بعيد في

ظهور بوادر الشقاق بين تنظيم داعش والنظام .

تنامي هذا التنظيم الهدام في سورية إلى جانب الفصائل الراديكالية الأخرى يعتبر نتيجة طبيعية في بلد يحترق لأكثر من ثلاثة أعوام ونصف في ظل تغاضي شبه تام من المجتمع الدولي الذي أراد مع بعض القوى الإقليمية أن تتحول سورية إلى ساحة استقطاب للمتطرفين والقتلة في حرب الكل مع الكل ودمار لا نهاية له مستفيدين من وضع معارضة مسلحة متشظية وأخرى سياسية هزيلة لا تملك حتى قرار نفسها.

لكن مع بدء تنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية بوضع سكين النحر على عنق المواطنين الأمريكيين ونشر تفاصيل الجريمتين بالتصوير الحي وبرسالة من داعشي يتكلم الإنجليزية بلكنة لندنية استفاقت أمريكا ومعها الدول الأوربية على حقيقة أنها ليست خارج الصراع الدائر في المنطقة وأنهم معنيون بالقتل والإرهاب وأن سورية لن تبقى حلبة الصراع وهم فيها متفرجون فقط. على الرغم من أن المعركة ليست مع الأفراد لكن هوية الجاني الذي نفذ عملية ذبح الصحفيين بدم بارد كانت لها الأهمية القصوى في إيقاظ أمريكا والأوربيين على حقيقة أن أعدادا كبيرة من مواطنيهم منخرطون في صفوف التنظيم الإرهابي وبالتالي الخطر الذي اعتقدوه بعيدا هو في الواقع قريب من مشارف بلدانهم.

حقيقة لا يمكن تجاهلها أن من قتل الصحفيين الأمريكيين وآلاف الأبرياء من العراقيين والسوريين هو تنظيم كامل نشأ وترعرع نتيجة إهمال العراق بعد هدمها ومن ثم الصمت الدولي حيال عمليات القتل

والتشريد التي تعرض ولا يزال يتعرض لها السوريون على مدى أربع سنوات متتالية وللقضاء على الإرهاب ليس أمام أمريكا والغرب إلا خياران لا ثالث لهما:

الأول:

العمل على تخليص شعوب المنطقة من الاستبداد ومساعدة القوى المعتدلة لاستلام مقاليد الحكم وفق أنظمة برلمانية تعددية لكي تبدأ مسيرة نشر الحريات السياسية، الدينية، الفكرية وتحقيق العدالة الاجتماعية وإرساء المبادئ الديمقراطية وترسيخها.

الثاني:

مساعدة الحكام والأنظمة الشمولية في القضاء على مناوئيهم بالتالي العودة إلى العهد السابق أي الاستبداد وكتم الأفواه بغية فرض الأمن والاستقرار من جديد بقوة الحديد والنار على شعوبهم.

الخيار الأول يعدّ مسيرة طويلة تحتاج إلى أعوام من المدّ والجزر والعمل المضني والمكلف فبالتأكيد ستعمل أمريكا ومعها حلفاؤها على ترسيخ الحل الآخر أي إعادة تأهيل الأنظمة الاستبدادية في عموم المنطقة، ربما في سورية ستضطر إلى استبدال الأسد الذي يعتبر بطاقة محروقة بآخر مشابه، على غرار مبارك، السيسي في مصر، صالح ومنصور هادي في اليمن وبذلك يكون تنظيم داعش قد لعب دور الشريان الذي يعيد الحياة إلى الأنظمة الاستبدادية التي كانت على وشك الانهيار التام والسدادة التي تمنع تدفق الدم وبالتالي الحياة الحرة إلى الشعب الثائر.

ديمومة الصراع

الأضواء العالمية سلطت بشدة على الانتهاكات الرهيبة التي ارتكبها النظام السوري منذ بدايات الثورة لكن دون حراك دولي ذي تأثير يذكر، ثم جاءت مجزرة الكيماوي الكبرى في غوطة دمشق في الحادي والعشرين من أغسطس المنصرم وظهرت بوادر أمل بيقظة ضمير المجتمع الدولي من غفوته والقيام بواجبه في حماية الشعب السوري من حكم عسكري قلّ أمثاله في الوحشية والإجرام، لكن الذي حصل أن أمريكا كما يقول المثل الشائع: تركت الحمار وأمسكت بالبردعة، حيث تجلى بوضوح الوجه المخزي لدورها كدولة عظمى تجاه محنة السوريين وجريها العبثي خلف سراب الحلول الدبلوماسية على الرغم من تأكدها بأن لغة الحديد والنار هي الوحيدة التي يفهمها نظام البعث في دمشق خاصة بعد اعتراف رأس النظام بامتلاكه للسلاح المحرم دوليا وباستعداده لتسليمه.

الأمر الذي كان من المستحيل أن يحدث لولا إحساسه بجدية التلويح بالضربة العسكرية الأمريكية. أمريكا بقيت متمسكة بما قد يشكل خطرا على مصالحها وأمن حلفائها في المنطقة إسرائيل بالدرجة الأولى، أي الحيلولة دون وقوع الأسلحة الكيماوية في أيدي الراديكاليين من المعارضة

أو محاولة النظام تمريرها إلى حزب الله عند إحساسه بفقدان السيطرة على أرض المعركة، أما ما يتعرض له السوريون من سحق وإبادة فليس له حيز في سلّم أولوياتها، بذلك تسقط الورقة الأخيرة عن عورة أمريكا وحلفائها حول ادعاءاتهم بالاكتراث بأرواح السوريين وعذاباتهم.

أندرو تابلر متخصص في الشأن السوري بمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى يقول لصحيفة نيويورك تايمز: الرئيس السوري لديه انطباع بأن الأمريكيين ربما يريدون رحيله عن السلطة ولكن ليس الآن. ويردف قائلا: لذلك علينا أن نتوقع بأن يقوم بهجوم على الثوار. وتضيف الصحيفة : بأن الكثير من المحللين السياسيين يتوقعون فعلا بأن يتمكن الأسد من بسط نفوذه من جديد.

هذه المعطيات الدولية تتوافق في مجملها مع رؤية الأسد الشخصية والتي رواها في إحدى مقابلاته بأنه لا يرى في الثورة على حكمه سوى تطرف ديني، مذهبي، إرهابي شبيه بأحداث حماة في الثمانينيات التي قادتها جماعة الإخوان المسلمين والتي تم إخمادها ثم عادت الحياة الطبيعية إلى البلاد.

الآن اللعب على المكشوف فالعالم الخارجي وعلى رأسهم أمريكا يريدون وضع أيديهم على السلاح الكيماوي وحسب أي لا حقوق إنسان و(لا بطيخ مبسمر) والنظام يريد البقاء في السلطة لا ممانعة ولا توازنا عسكريا إستراتيجيا مع إسرائيل ولا تحرير أراضي فلا ضير في التخلي عن المخزون الكيماوي لإسكات الأمريكيين وكسب المزيد من الوقت للاستمرار في حله الأمني بسحق كل معارض لحكمه لكن بالأسلحة التقليدية.

شريعة الغاب

فترة المخاض العسير من عمر الصراع الدامي تدوم في سورية، أعداد الضحايا من المدنيين والعسكريين يزداد يوما بعد الآخر دون ظهور أي بوادر أمل يبشر بولادة قريبة كانت أم بعيدة لنظام ديمقراطي يلمّ شمل السوريين من جديد تحت سقف وطن واحد يضم كافة مكوناته. بالتفاتة بسيطة إلى الوراء وبدايات الانتفاضة ضد الطاغية نتذكر جميعا أسطوانة النظام المشروخة عن المؤامرة والمتآمرين على سورية والسوريين.

الآن بعد مضي أكثر من عامين على بداية الاحتجاجات التي بدأت سلمية نرى حقا نتائج وآثار المؤامرة كما ادعى النظام لكن ما لم يكاشفه هو أنه نفسه مهندس المؤامرة التي أزهقت أرواح أكثر من مئة ألف سوري وحولت أكثر من ربع المواطنين إلى لاجئين. المؤامرة مازالت مستمرة على جميع الأصعدة، الكل متآمر وما يؤسف عليه فحتى السوريين الصامتين مشتركون في التآمر على أنفسهم.

القوى الدولية بغربها وشرقها السياسي متوجسون من المد الإسلامي الذي رافق الربيع العربي، قلقون من ماهية النظام القادم ومقدار مرونته فيما يتعلق ليس فقط بمصالحهم الحيوية في المنطقة بل أيضا باستعداده

للتعاون الاستخباراتي الذي يخدم مسألة الأمن القومي لبلدانهم .

الغالبية العظمى من الأنظمة الغربية والشرقية كانت ترى لدى الإسلام السنة اعتدالا ومرونة يسهّل لهم التعاون السياسي والأمني المشترك على عكس التزمت الديني لدى الشيعة متمثلة بإيران، لكن هجمات 11 سبتمبر والتي كان منفذوها حصرا من السنة غيرت من نظرة الغرب وجعلت هاجس التطرف الإسلامي حاضرا لا يفارق مخيلة قادة تلك الدول وعلى وجه الخصوص الأمريكيين الذين أصبحوا يحاولون مسك العصا من المنتصف بغية التحكم بموازيين القوى بين الإسلام الشيعة والسنة. رغبة الإدارة الأمريكية مؤخرا برفع الحظر عن بيع الأسلحة لقوى المعارضة المعتدلة ليس إلا متابعة لهذه السياسة أي لعبة السعي لتغذية النزاع بهدف استمرار رحى الحرب كي تدور، تحصد أرواح السوريين، تقضي على مقدرات بلادهم وذلك بعد أن استشعرت بوادر الغلبة لمحور النظام وإيران. ما تحتاجه سورية ويحتاجه السوريون هو الموقف والقرار الذي يحسم الوضع سواء كان ذلك من داخل مجلس الأمن أو من خارجه.

الكاتب الأمريكي توماس فريدمان يقول في إحدى مقالاته لصحيفة نيويورك تايمز بأن سورية مع سقوط الأسد سوف تكون على الأقل عرضة لحربين أخريين الأولي هي حرب بين العلويين والسنة والثانية هي الحرب بين القوى العلمانية والأصوليين، يضيف الكاتب قائلا: يجب أن نفكر مرتين قبل أن نرسل الأسلحة إلى المعارضة ويجب أن نسأل أنفسنا

إلى أي نهاية نريد التوصل إليها من خلال استعمال هذا السلاح؟

يبدو أن الإدارة الأمريكية أيضا تبادل الكاتب آراءه ولا ترى أي إيجابيات لسقوط نظام الأسد!

روسيا بإدارة بوتين لا ترى هي الأخرى في المعارضة إلا امتدادا للمتشددين الإسلاميين ممن يحاربونها من الشيشان فبالإضافة إلى فقدانها لامتيازاتها في المنطقة مع زوال محتمل لنظام الأسد فإن انتصار المعارضة قد يشكل مصدر قوة لأعدائها ومصدر تهديد لأمنها فيما إذا تم التواصل مع مسلمي القوقاز.

الرئيس الروسي بوتين يتحدث عن عدم قيام الأسد بالإصلاحات الجدية في سورية متناسيا أن ما يقوله يأتي في وقت متأخر جدا جرى خلاله ما جرى من الويلات على سورية الوطن والمواطن بفضل السياسة الروسية ودعمها السياسي والعسكري اللامحدود للنظام الحاكم في دمشق. كان حريا بالمجتمع الدولي لو أراد حقا نصرة الشعب السوري المنتفض منذ البداية أن يشكل قوة دولية تجبر الأسد على التنحي وتشرف تلك القوة على عملية انتقال السلطة وتحقن دماء مئات الآلاف من السوريين .

الحروب الأهلية التي تعتمد أطراف النزاع فيها على التسليح والدعم الخارجي عادة تكون حروب استنزاف طويلة الأمد، فمادامت روسية وإيران تمدّان النظام بالسلاح والعتاد سيستمر الجرح النازف في سورية دون توقف، الأسد تحول من رئيس دولة إلى أمير حرب والمعارضة إلى ألوية، كتائب وفصائل متفرقة تحمل شعارات مختلفة دون إدارة توافقية

أو مرجعية يصان لها قرار.

انتخاب روحاني لن يغير من السياسة الخارجية الإستراتيجية لإيران في شيء تحديدا فيما يتعلق بالشأن السوري فمازال المرشد الأعلى في إيران الكبيرة والصغيرة (حزب الله) هم أنفسهم.

مرة أخرى سلبية المجتمع الدولي في التعاطي مع الأزمة في سورية حولت الانتفاضة من ثورة شعب ضد طاغية إلى حرب أهلية دامية. أمد الصراع يدوم ورحى الحرب تحصد أرواح السوريين فيما الحياة تستمر دون توقف مخلّفة جيلا من السوريين يكمن في داخله نفورا من شعارات الديمقراطية البائسة ولن يتذكر إلا خذلان العالم الخارجي الذي ارتأى أن تسود شريعة الغاب في وطنهم مع فارق أن في شريعة الغاب ينتهي الصراع بالبقاء للأقوى.

صرخة بصيرة

بدون شك معظم السوريين يشاطرون العقيد الشهيد يوسف الجادر أبو الفرات مشاعره وإحساسه بالحزن العميق على الضحايا من كلا الجانبين وعلى الدمار الذي هو دمار للبلد وأن السبب الرئيس لإراقة كل هذه الدماء السورية هو تعنت الرئيس بشار الأسد وتشبثه بكرسي الحكم.

الجيش السوري الحر بالتأكيد يضم في صفوفه أبطالا كثيرين من أمثال الجادر الذين يحملون في داخلهم إحساسا أصيلا وحزنا أليما على ما يحدث في بلدهم ولأهلهم. السوريون بحاجة اليوم قبل أي وقت آخر إلى سماع دوي أصوات هؤلاء الأبطال تقول كلمة الحق الصادقة مثل تلك التي صدرت عن أبو الفرات الذي عبر عن الألم السوري وترفّع فوق حضيض المذهبية ومستنقع الانتقام والتشدق بالبطولات الزائفة.

سورية بحاجة إلى سماع مثل تلك الأصوات الحرة من حناجر أبنائها البررة يصرخون ألمهم لإيصال صدى عواطفهم لجميع من تعتريهم الخشية من تسلط روح الانتقام، الفرقة والطائفية البغيضة على روح الثورة وبأنها سرقت وأخذت مناحي مختلفة تماما عن الغاية من نشوبها ولكي تكون كلماتهم جوابا قاطعا لكل من يحاول وسم الثورة السورية بالطائفية

البحتة. التضحيات الجسام التي قدمها السوريون يجب أن تكون ثمن نيل الحرية لكل أطياف المجتمع والتخلص من الاستبداد وإقصاء الآخر المختلف.

الآن وبعد مضي قرابة 21 شهرا من المواجهات الدامية يزداد الشعب السوري العظيم تصميما على الاستمرار في سعيه لاسترجاع كرامته المسلوبة فيما يزداد نظام الطاغية عنفا ودموية مشحونا برغبة مسعورة في الانتقام على كل من خرج عن طاعته. المجتمع الدولي يظهر قلقه من بربرية النظام، استعماله للقنابل العنقودية ضد المدنيين، خطر اللجوء إلى استعمال الأسلحة الكيماوية، لكن مع الأسف القلق وحده لا ينقذ شعبنا.

في الأمس أيضا دعت منظمة الأمم المتحدة الحصول على مساعدات مادية ضخمة تقدر بمليار ونصف المليار دولار لمساعدة السوريين في الداخل وفي مخيمات اللجوء في دول الجوار، على الرغم من أنها خطوة لا بأس بها من المنظمة الدولية والتي نتمنى أن تصل إلى أيادي شعبنا المنكوب في داخل وخارج الوطن إلا أنها ليست أكثر من مبادرة إنسانية تقوم بها ليس إلا، فيما الدواء سياسي أي التخلص من نظام البعث الشمولي وعلى رأسهم الأسد والثلة المقربة منه، ذلك ما يوقف القتل وينقذ أرواح السوريين .

ادعاءات المجتمع الدولي التي كثيرا ما تنسجم مع مزاعم النظام نفسه أي الخشية من نشوب حرب أهلية طويلة المدى في سورية وأخرى بالوكالة في الدول المجاورة لا تصح إلا مع بقاء الأسد في سدة الحكم، الرئيس

الروسي بوتين قال أيضا في الأمس بأنهم لا يدافعون عن الأسد من أجل بقائه في الحكم بل بدافع خشيتهم من نشوب حرب أهلية في سورية وخوفه على أرواح السوريين. هذه التصريحات تعد استخفافا بعقولنا، لن يكون بوتين حريصا على أرواح السوريين أكثر من السوريين أنفسهم، أكبر دليل على زيف مزاعمه هو وجود أبطال وطنيين أمثال الجادر الذين يتألمون على أرواح إخوتهم التي تزهق بغض النظر عن انتمائهم المذهبي وعلى مقدرات وطنهم التي تهدر بأيادي أبنائها.

التقسيم

مع امتداد أمد الثورة السورية وصمت العالم الخارجي المخزي والمريب كثرت التأويلات والتنبؤات حول مصير الثورة بل مآل سورية شعبا ودولة. كثيرا ما نقرأ من هنا وهناك آراء وتحليلات سياسية حول السيناريوهات المتوقع حدوثها مع انهيار محتمل للنظام الحاكم، حتى إن البعض يذهب بهم خيالهم الجامح بعيدا، حيث ينظّرون علينا بطروحات بائسة مفادها أن التقسيم إلى دويلات هو الحل الأمثل في المحصلة.

بدون شك ما يقال ويكتب في وسائل الإعلام الكثيرة والمتشعبة في أيامنا هذه على الرغم من معرفة الجميع بوجود فيض من الابتذال تبقى لمثل هكذا تأويلات دور وتأثير بدرجات مختلفة، دوليا، إقليميا، لكن الأهم من ذلك كله هو الخشية من التأثير المباشر في تطورات الأحداث على أرض الوطن الدامي على الصعيدين النظري والعملي، حيث تعدّ هذه التأويلات أحد العوامل السيكولوجية الخطيرة التي تنمي ثقافة الريبة، الشك، انعدام الثقة التي بدورها تؤدي إلى تنمية بوادر الشقاق والفرقة، تحول السلوك الحميمي إلى العدائي بين مختلف إثنيات وأطياف الشعب

السوري وتسهم في إضعاف الحس والانتماء الوطنيين.

لتجنب خلط الأمور ببعضها علينا التأكيد على أن سورية المستقبل سوف تكون دولة جديدة مختلفة تماما عن سورية ليس فقط الأسد بل عن ذهنية السلطة السياسية عامة، هذه حقيقة يجب على الجميع أن يقبل بها شاءوا أم لم يشاءوا. التغيير المنشود هو الحافز للثورة التي يقودها الشعب السوري العظيم ضد الطغيان متحملا الفاتورة الباهظة من دماء أبنائه نتيجة وحشية النظام وتلكؤ الأسرة الدولية هذا إذا صح تسميتها بالأسرة ! سورية في العهد الأسدي ليس سوى كيان فيه سادة، عبيد، إلغاء، تهميش، إقصاء وتمييز. التغيير لن يكون بتبادل الأدوار والشخصيات فقط بل يجب أن يشمل النهج، الفكر والممارسة.

أصحاب رؤية التقسيم لا يرون في الثورة السورية سوى أنها ثورة طائفية بحتة بين أقلية علوية حاكمة وأغلبية سنة تريد أن تنتزع الحكم وتنتقم وأقليات عرقية ودينية أخرى متربصة بسقوط الثور الجريح، وبالنظر لعواقب مثل هكذا نزاع لابد أن يأتي التقسيم كحل منطقي وحماية ضرورية لكل طائفة من الأخرى، مثل هكذا مشروع يأخذ بعين الاعتبار العلويين ٪12 وإمكانية تمركزهم في منطقة الساحل السوري، كرد سورية في شمال شرقي سورية المتاخمة للحدود التركية العراقية حيث يشكلون أكثر من ٪15 من نسبة السكان. هذا التفكير متجانس مع ذهنية النظام الديكتاتوري الحاكم نفسه الذي أصرّ على عداء الكرد السوريين وعمل على التشكيك في وطنيتهم وولائهم لسوريتهم متمسكا بذرائع

واهية عن ميولهم الانفصالية وترجم النظام سلوكه العدواني من خلال جملة من القوانين والمراسيم الجائرة بحق المنطقة الكردية.

بشار الأسد لا يختلف عن القذافي فهو مهووس أيضا بجنون العظمة ونظر إلى مقامه يوما ما كزعيم للأمة العربية، بالتالي لن يرضى أن يتحول إلى زعيم طائفة في شبه دويلة بجبال العلويين.

الكرد على الرغم من تواجد الأغلبية العظمى في مناطقهم إلا أن أعدادا ضخمة موزعة على كافة المدن السورية من أقصاها إلى أقصاها ووحدة الأراضي السورية مطلب كردي سوري فتمسكهم بسوريتهم لا تقل عن تمسكهم بكرديتهم!

السؤال الهام الذي يطرح نفسه:

من المستفيد الأول من زرع أسباب الشقاق واستخدام بعبع التقسيم كفزّاعة في هذه المرحلة التاريخية الحرجة من عمر الوطن؟

بدون أدنى شك المستفيد الأول من نشر مثل هذه التوجسات هو النظام الحاكم. هذه الفزّاعة تسهم بشكل مباشر فى ضرب فصائل المعارضة ببعض بغية إضعافها وتشتيتها أكثر مما هي مشتتة من جهة، تجريدها من المصداقية كبديل يسدّ محل النظام الحاكم أمام المحافل الدولية من جهة أخرى.

الأمر الذي يتجاهله هؤلاء هو أن السلطة الحاكمة على الرغم من سيطرة الكثير من أفراد الطائفة العلوية على المراكز العسكرية والمدنية الحساسة إلا أنهم ليسوا بمفردهم بل باعتمادهم الكبير على حزب البعث

الذي معظم قياداته من السنة.

الولاء في سورية الأسد لم تكن للطائفة بل للحاكم وحاشيته بمن فيهم قطاع عريض من البعثيين السنة. هناك محاولات لتبرئة البعثيين مما يجري في سورية بتصويرهم وكأنهم لا حول لهم ولا قوة في التأثير على مجرى الأحداث، هذا الاستخلاص لا يمت إلى الحقيقة في شيء. بقاء النظام حتى يومنا هذا أي بعد قرابة العامين من المقاومة الضارية في أغلب المدن والبلدات السورية في سدة الحكم هو أكبر دليل على استماتتهم في سبيل الحفاظ على نظامهم وقائدهم .

الأمر الذي على جميع السوريين قبوله هو أن سورية يجب أن تكون في المحصلة لجميع السوريين بكل مكوناتهم الإثنية والمذهبية والدينية وبأن مفهوم وحدة الأراضي السورية لا تعني أن يسود البعض ويستعبد الآخر، كما أن الاعتراف بالآخر لا يعني تهديد أمن ووحدة البلاد .

بعبع التقسيم خدمة للنظام الجائر، إطالة في عمره، إضعاف لكل فصائل الحراك الثوري وإنهاك لبلدنا أرضا وشعبا.

لا صوملة لا بلقنة

عام آخر ينصرم وسورية من مرحلة إلى أخرى، من احتجاجات خرج بها الشعب لمواجهة الطاغية بالأهازيج والشعارات السلمية والتي كانت في مجموعها دعوة للوحدة ونبذ الفرقة إلى كفاح مسلح ضد حكم استبدادي طغى بتجبره ودمويته على البائد صدام حسين في العراق والقذافي في ليبيا.

من سنة إلى أخرى ومن مجزرة إلى أخرى ترتكبها شبيحة السلطة مزودة بآلة القتل الروسية والإيرانية يستمر الشعب السوري البطل في مسيرته وصموده الكفاحي ململما جراحه، فيما نفاق السياسة الدولية الذي فاق كل المعايير يستمر أيضا في شراكته مع النظام. الموقف الروسي يزداد غباء في تعاطيه مع الصراع الدائر في سورية. لافروف كان يقول في تصريحاته السابقة بأنه ليست المعارضة السورية من تقرر بقاء الأسد أو تنحيه عن السلطة بل الشعب السوري، بالأمس ذهب أبعد من ذلك في تصريحه الأخير إذ قال بأنه ليس المجتمع الدولي من يقرر بقاء الأسد أم لا بل الشعب السوري، منذ متى كان للشعب السوري في الداخل صوت بوجود الأسد على رأس السلطة في دمشق لكي يختار حاكمه. روسيا

تتمادى في غبائها إذ تستمر في معاداة شعب كامل لأجل نظام في طريقه إلى الزوال، فالشعوب هي الباقية والأنظمة فانية.

رفض الشيخ معاذ الخطيب لدعوة لافروف بزيارة وفد الائتلاف لموسكو ومطالبة الحكومية الروسية بالاعتذار من الشعب السوري على دعمها للنظام والقبول باللقاء مع الروس في دولة أخرى، مهما وصف بعدم الدبلوماسية فإن ذلك جاء معبرا عن وجدان وألم المواطن السوري، ويعد أشجع تصريح سياسي منذ بدء الثورة السورية حيث لامس رده الجرح النازف للشعب السوري الذي لا يتوقف سيله من جراء سياسة الدعم الروسي بالتقنية العسكرية ميدانيا والمعنوية من خلال وقوفها إلى جانب النظام السوري في المحافل الدولية.

الحديث عن التوصل إلى حل سياسي لانتقال السلطة بات في ظل المعطيات على الأرض السورية أقرب منه إلى الهزل عن الجدية، بشكل خاص عندما يطرح بقاء الأسد في السلطة خلال مرحلته الانتقالية!

أمّا الجحيم أو الحل السياسي هذا ما يقوله الإبراهيمي! كان من الأجدر به أن يقول ليس أمام الشعب السوري سوى الجحيم، فالتفاوض مع الأسد بزعم التوصل إلى (حل سياسي) يعني أيضا احتراق السوريين في سعير جحيمه.

أين الحل السياسي والسلمي بعد كل هذه الدماء؟

أين إرادة التحول السلمي من طرف النظام والذي ترجمه من خلال لجوئه لأقصى أساليب القمع، التنكيل، التدمير والترويع من خلال

ارتكابه المجزرة تلو الأخرى؟!

سلوك رأس النظام ليس إلا تأكيدا للاستمرار في النهج الديكتاتوري الدموي مدعوما بحاشية اكتسبت امتيازات لا حصر لها في ظله، الأمر الذي يجعلهم على استعداد للقتال لآخر رمق.

الآن مع ارتفاع وتيرة المعارك في دمشق كثرت التخمينات والتوقعات من قبل الكثير من المحللين السياسيين بأن الأسد سوف ينتقل إلى الساحل السوري لقيادة المرحلة التي سوف تتبع معركة سقوط دمشق، تلك ليست سوى تأويلات تعتمد على مبدأ طائفية الحرب، الأمر الذي حتى الآن ابتعدت عنه المعارضة في خطابها الوطني ورفضته معظم فصائلها إن لم تكن جميعها بشقيها العسكري والسياسي، كما أننا يجب ألا ننسى بأن النظام نفسه يحاول تحميل المعارضة تهم السعي إلى التقسيم والعسكرة الطائفية. الأسد صمد حتى الآن ليس فقط بدعم الطائفة العلوية فقط فأكثر من ٪80 من قوات الجيش السوري الحكومي ليسوا علويين وبمجرد اعتراف النظام بقيادة حرب طائفية من الساحل السوري سيجد نفسه وحيدا وسيكون قد قدم أفضل خدمة لتوحيد صفوف السوريين وبالتالي نهايته الحتمية.

تحرير دمشق هو السقوط النهائي لأركان نظام الأسد. الخشية من الصوملة التي يدعيها الإبراهيمي وتحول النظام نفسه إلى ميليشيات والأسد إلى أمير حرب لقيادة حرب داخلية مدمرة طويلة الأمد بعيدة الاحتمال أيضا فالحاضنة الشعبية لأركان النظام ستكون شبه معدومة.

الشعب السوري لن يوفر الاحتضان لنظام قام طيرانه الحربي المدفوع أثمانه من قوت أبناء الوطن، بقصف المواطنين المدنيين الذين تزاحموا لشراء الخبز في حلفايا وغيرها من المدن السورية الأبية وغمس رغيفهم بدماء الأبرياء.

عيد الأضحى في سورية

فرحة العيد وطقوسه السنوية البهيجة بأهازيجه وأراجيحه عند الصغار تبدأ في الواقع بساعات طويلة قبل صباحه. اللحظات المفعمة بالإثارة هي تلك التي تبدأ مع انتهاء العائلة من التسوق والعودة إلى البيت بعد شراء حاجات العيد من الأطعمة الشهية، لوازم الضيافة من الحلوى، السكاكر والملابس الجديدة.

عند الوصول إلى المنزل ينهمك الوالدان بتفقد ما اشترياه فيما يهرع الصغار لاختبار ألبستهم الجديدة مرة تلو الأخرى أمام المرآة ثم طيها بعناية فائقة ووضعها تحت الوسادة ووجوههم البريئة مغمورة بمزيج من لهفة الانتظار ونشوة السعادة فيما تشرد أذهانهم في غبطة بما سيفعلونه مع بزوغ فجر العيد.

العيد السوري هذا العام سيكون مختلفا تماما عن سابقاته، أطفال الداخل سيتلقون هداياهم من أجواء الوطن قد تكون قنابل عنقودية، براميل متفجرة أو مفاجآت أخرى. في مخيمات اللجوء سوف يبقون متكورين على أنفسهم راقدين من أثر نوبات السقم المرافقة لموجات

أواخر الخريف، هلع برد الشتاء القادم وسوء التغذية. في الشتات لن يكون العيد سوى تذكير بهول المصيبة التي تعصف بالأهل.

السيد الإبراهيمي بدأ مهمته من حيث بدأ سلفه وليس من حيث انتهى، إستراتيجية إضاعة الوقت ليس إلا. بعد انقضاء ما يزيد على الشهرين من الزمن لتسلمه زمام المبادرة، قام بالعديد من الزيارات لمعظم الدول المعنية بالشأن السوري والتي سبقها إليه عنان، تفتقت قريحته مؤخرا بأن طالب بهدنة خلال عيد الأضحى المبارك، لعل وعسى أن تكون تلك فاتحة خير لهدنة أطول يمكن خلالها جلب أطراف النزاع إلى طاولة الحوار وبالتالي إيجاد مخرج من الأزمة بطريقة سلمية. الفكرة من حيث المبدأ جيدة لكنها لا تتناسب مع طبيعة النزاع السوري! يقولون عادة: إن فهم السؤال يعدّ نصف الإجابة وهذا ينطبق على ما يجري في سورية حيث إن فهم المعضلة السورية هو نصف الحل. الهدنة هي عملية إيقاف مؤقت ومشروط لإطلاق النار بين أطراف متناحرة يعترف كلّ بالآخر، هذه الفرضية غائبة في الصراع الدموي الدائر طبقا لرؤية النظام للوقائع على الأرض، فهو يقاوم جماعات إرهابية مسلحة لا يمثلون الشعب السوري ولا المعارضة في شيء، فكيف سيعقد هدنة مع إرهابيين؟

كان على الأخضر الإبراهيمي انطلاقا من هذه المعطيات أن يوفر الجهد والوقت فإن لم ينجح في إقناع نظام البعث على الاعتراف بالمقاومة المسلحة، لن ينجح في عقد هدنة أيضا.

بعد أكثر من عشرين شهرا على استمرار نزف الجرح السوري لم يعد

هناك أدنى شك بأن النظام لن يغير أسلوبه في التعاطي الأمني مع الأزمة طواعية، هذا يعني أن لا هدنة في سورية إلا بالقوة أي بفرض وقف إلزامي لإطلاق النار وإرسائه عن طريق تواجد قوة دولية مسلحة على الأرض. هذا الشيء يعيدنا مرة أخرى إلى موقف المجتمع الدولي المعطوب بحكم الفيتو الروسي الصيني، لكن ماذا عن الولايات المتحدة ؟ هل ستستمر في موقفها السلبي من النزاع في سورية؟

أستاذة العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة برنستون ومديرة التخطيط السياسي السابقة في العلاقات الخارجية الأمريكية آن ماري سلاتر في مقالة نشرت ترجمتها في صحيفة داغنز نيهيتر السويدية بتاريخ 22-10-2012 بعنوان: باراك أوباما يخطئ في الاختيار، تقول: ينبغي على الولايات المتحدة أن تقوم بمسؤولياتها تجاه التطورات في سورية. التدخل في الشأن السوري محفوف بالمخاطر لكن عدم التدخل أيضا له مخاطر.

وتردف قائلة: انظروا فقط إلى سورية. إن كل ما يحدث هناك كان متنبأ به ومتوقعا: حربا بالوكالة بين إيران والسعودية المزيد من الانحياز للطائفية والتفرقة بين الإثنيات، جماعات أصولية تحل بدل معتدلين يتم إسكاتهم، دول مجاورة يتزعزع استقرارها، دخول إرهابيين وإغراق البلاد في حمامات دماء لا تتعافى منها بعشرات السنين. فصائل المعارضة تتوسل في الحصول على الأسلحة التي تمكنهم من إسقاط طائرات الأسد والاحتفاظ بالمناطق المكتسبة بعد المعارك الضارية، تأمين سلامة المدنيين

ولكي يفهم الأسد صراحة بأن العالم لا يجاريه ويتفرج فيما هو يخنق شعبه.

وتردف سلاتر: في صباح كل يوم يعرض الخبراء على أوباما جميع المؤامرات المحتملة التي قد تهدد أمن الأمريكيين. هو يعرف بأن جميع الأسلحة التي تستطيع إسقاط طائرة حربية سورية، يمكن أيضا استعمالها من قبل إرهابي لضرب طائرة ركاب أمريكية. أوباما واثق بأنه يتصرف بشكل صحيح بأن يتوخى الحيطة والحذر وينتظر حتى يحرق الصراع السوري نفسه بنفسه وبذلك يقلل من المخاطر على حياة الأمريكيين.

وتقول سلاتر: لا يتحدث أحدا صباح كل يوم في الغرفة البيضاوية عن الشعب السوري.

عيد الأضحى المبارك هذا العام أيضا سيمر كئيبا. على أطفال سورية التسلية ببقايا القنابل العنقودية، واستخدام دبابات النظام المحطمة كأراجيح لهم إلى حين!

المشهد المتأرجح

نظام الأسد المترنح في دمشق يفقد أقوى ورقة لديه استعملها منذ بواكير الثورة السورية في مواجهة التغيير الذي كان يهدد وجوده واستمراره في الحكم ألا وهو ادعاؤه أمام المجتمع الدولي بعدم وجود معارضة معتدلة وأن انهياره سيفسح المجال للقوى الراديكالية المعادية للعالم المتمدن بالوصول إلى السلطة فالضربات الجوية التي تقودها الولايات المتحدة على مواقع المتطرفين في سورية وتأكيدهم على عدم التنسيق مع حكومة البعث في هذا الشأن هو أهم إجراء تتخذه أمريكا ويشكل دلالة كبرى على أن مفعول انطلاء حيل نظامه على المجتمع الدولي قد انتهى.

لكن ليس النظام وداعش فقط هما الخاسران حيث إنّ الضربات الجوية شملت أيضا مواقع جبهة النصرة التابعة رسميا لتنظيم القاعدة الإرهابي ما يعني إضعاف فصائل إسلامية أخرى من قوى المعارضة المسلحة التابعة للجيش الحر والتي حاربت معها جنبا إلى جنب في وجه قوات النظام وبهذا تكون أمريكا وحلفاؤها قد انتقلوا من مرحلة الأقوال إلى الأفعال وخرجوا من سلبيتهم في التعامل مع الأزمة السورية التي رمت

بظلال مآسيها على بلدانهم واتخذوا الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح ألا وهو إفساح المجال أمام إعادة تأهيل معارضة سورية معتدلة كانت قد أوشكت على الزوال في خضم الصراع الدائر متأثرة بصمت المجتمع الدولي وسلبيته من جهة وجبروت روسيا ودعمها للنظام من جهة أخرى، لذلك فإن الهجمات الجوية ضد مواقع الإرهابيين دون مشاركة روسية لها مؤشرات إيجابية قد تفضي في المحصلة إلى إيجاد مخرج من المعضلة السورية الخبيثة.

كثيرة هي العبر التي يمكن استخلاصها من هذا التغيير في الموقف الدولي الغربي حصرا وذلك بعد أن بدأ المتطرفون يجزون أعناق الرهائن الأجنبية بوحشية منقطعة النظير.

المشهد السوري بكل تأكيد في طريقه إلى تغيير شبه كلي فيما يتعلق بفصائل المعارضة وفي تغيير جزئي على مستوى النظام ربما النموذج المصري هو خيار القوى الدولية لكن مطلقا ليس السعي إلى نشر الديمقراطية التي على ما يبدو أن الوقت مازال سابق لأوانه بالنسبة لشعوب المنطقة وعليهم الانتظار ردحا آخر من الزمن. هناك أيضا تساؤلات وشكوك حول ماهية الخطط التي تحاك وراء الكواليس من قبل الرؤوس الكبيرة للتحالف الدولي بزعامة أمريكا فهي تريد القضاء على داعش في سورية والعراق، وتقصف مواقع حيوية للتنظيم المتطرف في سورية لكنها لم تشن أي هجوم ذي أهمية عسكرية حاسمة على أرتال دبابات داعش الذي احتل عشرات القرى الكردية ويحاصر مدينة كوباني من ثلاثة محاور لماذا؟

هناك تفسير وحيد لمثل هذا التصرف فطبقا لتصريحات الخارجية الأمريكية، يجب ألا يشكل دحر داعش تقوية للنظام الذي فقد شرعيته منذ زمن بعيد ويجب ألا تسقط المواقع المحررة من الإرهابيين بيده، من وجهة نظر التحالف فإن حزب الاتحاد الديمقراطي الذي بطبيعة الحال سوف يسيطر على تلك المناطق في حال دحر داعش هو حليف للأسد طبقا لمصادر الائتلاف المعترف به دوليا والمدعوم من السعودية التي تولت أمر الملف السوري من ناحية، كما أن الحزب المذكور عدو لتركيا من ناحية أخرى.

أخيرا تأتي الحشود العسكرية التركية باتجاه المناطق الكردية السورية تأكيدا على ما أسلفنا من مخاوف إذ إن ما تقوم به هي عملية استعراض استباقي للعضلات اعتدناه سابقا من الأتراك من خلال تدخلها المستمر في شؤون دول الجوار كلما تعلق الأمر بالمسألة الكردية لكنها هذه المرة تلوح بالعصا الغليظة حتى في وجه المجتمع الدولي وتريد أن تقول إن تم تحرير المنطقة من داعش فلن نقبل أن يسيطر عليها مقاتلو حزب الاتحاد الديمقراطي النسخة الكردية السورية عن العمال الكردستاني.

إلى متى؟

روسيا ومن قبل ذلك الاتحاد السوفييتي كانت على الدوام مع الأنظمة المستبدة ضد شعوبها وفي التاريخ الحديث كانت أكبر قوة داعمة لنظام صدام الدموي في حربه ضد الشعب الكردي في كردستان العراق.

ما تفعله روسيا اليوم من تدخل همجي عسكري في سورية هو متابعة لمسيرة السياسة السوفيتية ذاتها، لكن المؤسف ألا تنتبه حتى النخبة المثقفة في المعارضة السورية لذلك ويذهبون بعيدًا في تصورهم بأن روسيا متعاطفة مع المكون الكردي في سورية ويستشهدون بأقوال لافروف بأن الكرد في سورية ربع السكان وعلى الرغم من أن هذه أول مرة يصرح لافروف بشيء قريب من الواقع فيما يتعلق بتعداد الكرد فلو كانت هناك إحصائيات دقيقة لكل التواجد الكردي في جميع الحواضر السورية والمناطق الكردية وغير الكردية فسنجد بين كل أربعة سوريين واحدًا كرديًّا. لكن ليس هذا هو المهم فيما يذهب إليه لافروف بل المهم هو أنه يريد أن يبقي على نظام الأسد بأي وسيلة كانت وما دعم حكومته للحزب

الكردي الموالي للنظام إلا من هذا المنطلق وواحدة من هذه الوسائل.

كم هو مؤلم ألا نتعظ كسوريين مما يحصل من حولنا رغم الدمار الهائل الذي أصاب بلدنا، رغم التشرد، الضياع، رغم تخلي العالم المتحضر والمتخلف عنّا لدرجة الاستهتار بأرواح السوريين الذين يموتون كل يوم جوعًا، غرقًا، تهشمًا تحت الأنقاض نتيجة القصف الوحشي بالبراميل المتفجرة. نظام الأسد نجح ولا يزال يحقق نجاحات تلو الأخرى وعلى الرغم من أن عوامل بقائه كثيرة لكن العامل الأهم هو نجاحه في تشتيت صف السوريين وتقوية النزعات الإثنية والطائفية لقرابة الخمس سنوات وهو عمر الثورة السورية بالإضافة إلى نجاحات حزبه الحاكم في غسل الأدمغة بالشعارات القومية العروبية والمقاوِمَةِ والمُمَانِعَة الكاذبة لمدى أكثر من أربعين عامًا تلك الشعارات التي تأبى أن تخرج اليوَم من رؤوس المعارضين السوريين حتى النخبوية منها.

ما جرى سابقًا وما يجري اليوم وما سيجري غدًا في أروقة الأمم المتحدة لن يشكل حلًا لوقف معاناة السوريين ما دامت عقلية المعارضة التقليدية السورية مجبولة بالمفاهيم البعثية بغض النظر عن مسمياتها الحالية المختلفة. سورية لم ولن تعود إلى مرحلة ما قبل الربيع العربي وكما أن السوريين لن يعودوا من جديد إلى حضن الأسد كذلك لن تعود مكوناتها المختلفة أيضا إلى حضن ما سميت بالجمهورية العربية السورية.

خلاصنا الوحيد هو أن يجمعنا همنا وألمنا السوري المشترك في وطن لنا جميعًا، في وطن لم يكن لنا رأي في رسم حدوده الحالية منذ قبل أكثر من

مائة عام مضت والذي سيكون لنا رأي اليوم في صياغة دستور له يحمينا جميعًا بمختلف انتماءاتنا ومكوناتنا الإثينية والمذهبية وذلك لن يحصل دون بناء جسور للثقة فيما بيننا ودون اعتراف أحدنا بالآخر وبحقوقه القومية المشروعة على تراب وطن يسعنا جميعًا.

عودة إلى الكفاح السياسي

قرابة الأربعة أعوام مرت من عمر الثورة في سورية مخلّفة من الدمار والخراب المادي ما يصعب إعادة بنائه لعقود ودمار معنوي يحتاج لفترة مضاعفة نظرا للتفتيت الذي أصاب اللحمة الوطنية والتمزيق الذي تعرض له النسيج المجتمعي، إرث يخلفه السوريون للأجيال القادمة في دولة تشرد نصف سكانها في العراء ونصف آخر يعيش في الداخل في حالة أقرب منها إلى حياة الرهائن داخل معسكر كبير بانتظار المحرقة ولا تزال الأطراف المسلحة المتصارعة على السلطة تدعي انتصارات وهمية لا تنتهي، هم بذلك يثبتون عن جدارة بأنهم ليسوا الأهل الأصليين لهذا البلد فهم على استعداد لتدميره وإبادة مواطنيه دون وازع من خُلق، دين أو ضمير، إنهم يشبهون في ادعاء كل منهم ملكية البلاد وانعدام إحساسهم تجاه الأرض والشعب بتلك الأم المزيفة في حكاية النبي سليمان عليه السلام: حين جاءته امرأتان متخاصمتان على ولد كل واحدة تدعي أنه ابنها، ففكر النبي بطريقة تجعل أم الولد تتضح أمام الجميع، فأخذ الولد بين يديه وقال للمرأتان: كلاكما يريد الولد أليس كذلك؟ فقالتا

نعم، فقال: حسنا، أحضر لي أيها الحاجب سكينا حتى أقسمه فتأخذ كل واحدة منهما نصفًا، فأحضر الحاجب سكينا وعندما رفع السكين صرخت الأم الحقيقية للولد قائلة: ..لا.. الولد ولدها هي، خوفا على الولد من أن يقتل، أما الثانية فقالت: لمَ لا هذا أفضل حلْ، عندَها تبسَم النبي سليمان وقالَ للأولى: تعالي وخذي وَلدك فأنت أمه الحقيقية.

من تحت أنقاض هذا الانهيار لابد أن يكون هناك صوت لأبناء البلد الأصليين الذين يخشون على أمهم التي تذبح من الوريد إلى الوريد ويكونون أصحاب مبادرة وقف هذه الحرب المجنونة على الرغم من صعوبة محاربة قوى التطرف الذي كان من المفروض أن تتبناها المؤسسات، النخب والمدارس الفقهية الإسلامية قبل النظم السياسية، الثقافية والتربوية لكي يكون بعدها بإمكان المسلمين أن يطلبوا من الغرب احترام مشاعر أكثر من مليار ونصف من المسلمين دعاة الإخاء والسلام والتسامح قياسا مع بضع آلاف من المتطرفين الذين يشوهون صورة الدين الإسلامي الحنيف ويخلّفون تداعيات خطيرة على مسلمي العالم جراء أعمالهم الإجرامية.

السوريون عانوا ولا يزالون من استبداد النظام على مدى أكثر من أربعة عقود وبإمكان الشعب الاستمرار في السعي لإزالته ولو بعد حين، فلم يسجل التاريخ على مر العصور انتصار طاغية على شعبه، إرادة الشعوب في المحصلة هي التي تنتصر، لكن ذلك لن يحصل ما دام التطرف مستفحلا. لاخيار أمام السوريين إذا أرادوا الخلاص من الظلم

والاستبداد إلا النضال على جبهتين معا: محاربة التطرف الذي ينمو بشكل سرطاني وينشر وباءه وفكره الظلامي في عموم سورية والمنطقة من خلال تجييش التنظيمات الإرهابية لسوريين تدفعهم عوامل شتى أهمها سياسة التمييز الطائفي الذي مارسه النظام خلال عقود حكمه وبطشه فيما بعد بمناوئيه في ظل صمت دولي مخزٍ، أما تعبئة الجهاديين غير السوريين فهي فئات قادمة من عمق الفشل الذريع للأنظمة السياسية في العالمين العربي والإسلامي، حيث أخفقت في احتوائهم من خلال إصلاحات سياسية منفتحة تخلق فرص تعليم وعمل مواكبين لتطورات العصر ومتطلباته، أما القادمون من الدول الغربية فهم من تلك الفئة التي تعاني من البقاء خارج النظم الاجتماعية، يعانون حالة من ضياع الهوية وفقدان الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيشون فيه وذلك كنتاج لعجز تلك الدول أيضا من التوصل إلى سياسة اندماج ناجعة للمهاجرين وخاصة القادمين من العالم الإسلامي.

هؤلاء ليسوا بثوار ولا يمثلون لا من قريب ولا من بعيد تطلعات عامة السوريين إلى الحرية، الديمقراطية والعيش الكريم.

النظام بدأ استخدام العنف وعسكرة ثورة السوريين السلمية وهذا لا اختلاف فيه لكن من يقود الثورة إذا افترضنا جدلا بأنها ما زالت ثورة الآن هم من ساعدوا النظام على تحويلها إلى حرب أهلية، طائفية، سنية، علوية وأصبحت فصائل ما سمي حينها بالجيش الحر إن وجد بعضها بلا حول لها ولا قوة قياسا مع متطرفي جبهة النصرة وداعش. في ظل مثل هذه

المعطيات التي أفرزتها دوامة العنف لأربعة أعوام متتالية تقع مسؤولية فضح المجموعات الإرهابية وتعريتها على النخب الثورية الحقيقية التي عليهم أن يحملوا لواء التغيير رأفة بسورية وأهلها ومحاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا الوضع المأساوي والواقع المرير الذي وصل إليه حال السوريين .

على النخب السياسية من داخل مؤسسات المعارضة وخارجها لعب دور الأبناء الأصليين الذي يخشون على البلد من الضياع والتحلي بشجاعة الاعتراف بأن متطرفي النصرة، داعش ومن على شاكلتهم من حاملي الأعلام السوداء هم من أجهض ثورة السوريين ويجب سحب كل غطاء سياسي يشرعن جرائمهم واللجوء بعدها إلى النضال السياسي لإسقاط نظام الاستبداد والإرهاب معا وإلا فجميعهم مثل تلك الأم الزائفة ينتظرون السكين ليقتطع حصصهم من جسد الوطن.

آية الله بوتين

التغيير الذي طرأ مؤخرا على مواقف الدول الغربية بخصوص الأسد ودوره في المرحلة الانتقالية لم يأت من الفراغ بل جاء نتيجة لجملة من العوامل منها:

1 – طبيعة التحولات التي حدثت على الأرض السورية، التي صدّرت ولا تزال موجة عارمة من اللاجئين تغزو القارة الأوروبية وتشكل عامل ضغط قوي عليها.

2 – غياب المعارضة السياسية التي لم ترتق إلى مستوى الصمود الذي أبداه السوريون، عانت منذ نشأتها من التأثير على مجريات الأمور في الداخل وبقيت شخصياتها القيادية في الخارج مجرد هياكل مستهلكة دون نشاط سياسي فعال يؤثر على الرأي العام في الشارع الأوروبي، بل على النقيض من ذلك خضوع البعض من تلك القيادات للجماعات الإسلامية المتشددة وعلى رأسها جبهة النصرة.

3 – تردد إدارة أوباما الضعيفة في اتخاذ قرارات مجدية وافتقادها لإستراتيجية الحل في سورية، فشلها فشلا ذريعا في خطتها الهزلية حول

تدريب عناصر من المعارضة المعتدلة حيث استسلمت أولى طلائعها لجبهة النصرة تاركة لهم الجمل بما حمل.

4 – إصابة تركيا العدالة والتنمية بالإحباط ووصولها إلى مرحلة يائسة من حلفائها لعدم تعاونهم معها بشأن إقامة منطقة آمنة وإطلاق أيديها في المناطق الكردية السورية.

5 – هذا بالإضافة إلى الضبابية الأيديولوجية التي تحيط بعموم المعارضة المسلحة حيث معظمهم جهاديون إسلاميون يحملون أعلاما سوداء تعكس انطباعا من الصعوبة بمكان على الأوروبيين أن يميزوا بينهم وبين تنظيم الدولة والقاعدة أو أن يتكهنوا بحجم عدائهم لغير المسلمين إذا ما آلت إليهم مقاليد الأمور في المنطقة.

نظام الأسد يبقى أحلى الأمرّين، حسب (بير يونسون) محلل سياسي في معهد السياسة الخارجية في ستوكهولم إذ يقول: بأن وضع زعماء الغرب شبيه بالموقف الذي كان فيه كل من روزفلت وتشرشل إبّان الحرب العالمية الثانية في أن يختاروا ما بين هتلر وستالين كحليف.

روسيا وسورية المتشابهتان بالأسماء تتشابهان أيضا في أنظمتهما المافيويتين مع حفظ الدرجات، بوتين لديه مجلس الدوما وبشار مجلس الدمى، المجلسان يفتقدان لحق الحل والربط، الأمر الذي سهّل على بوتين اتخاذ إجراءات التدخل العسكري بالسرعة التي يريدها كما أن الأسد له مطلق الصلاحيات بتسليم أي منطقة من الأراضي التي يريدها لتخضع لنفوذ حلفائه.

كل الدلائل تشير إلى أن نية القيادة الروسية هو إرغام السوريين على القبول بحل على الطريقة المصرية التي أتت بمبارك جديد (السيسي) مع فارق أمرين:

1 – القفز على مرحلة الانتخابات الأولى التي جاءت بمرسي.

2 – إعادة تأهيل الأسد بدلا من الإتيان بشبيه له.

تغيير الموقف تجاه الأسد يعتبر نفاقا في السياسة الدولية فالمجتمع الدولي بأكمله على يقين بأن النظام الذي لا يهتم بمصير نصف شعبه الذي شرّد من دياره لن يكون بأي حال من الأحوال قادرا على إحلال السلام والاستقرار في البلاد.

مرة أخرى تردد إدارة أوباما المتكرر شجع موسكو على التدخل أكثر فأكثر في الشأن السوري وقد اختار بوتين التوقيت في التدخل في عهد الإدارة الحالية للتحكم بزمام الأمور وهو متأكد بأنه لن تأتي إدارة أمريكية أضعف من الإدارة الحالية فيما إذا بقي الوضع السوري على ما هو عليه عاما آخر.

استقواء نظام الأسد بالتواجد العسكري الروسي سوف يؤدي إلى استمرار النزيف السوري وعلى عكس ما قد يتصوره البعض فإن حالة الحرب في شكلها الحالي هي في صالح النظام فمعظم اللاجئين يهربون من مناطق المعارضة، هربا من براميله المتفجرة والتغيير الديموغرافي يُبقي في سورية شعب النظام المختار.

إيران وروسيا هما أهم أسباب بقاء النظام في دمشق، إيغاله في قتل

السوريين، تحويل ثورة الشعب ضد حكمه إلى حرب أهلية وتركيز هجماته على المناطق المأهولة بالسكان بهدف معاقبتهم على احتواء المعارضة وترك المناطق الأخرى التي كانت تحت سيطرة تنظيم الدولة الإرهابي لتنمو كالبديل الأسوأ في حال سقوطه.

الجدير بالذكر أن موسكو بتدخلها العسكري المباشر في سورية وإقامة غرفة عمليات عسكرية مشتركة في الأمس مع كل من حكومة العبادي، إيران ونظام الأسد تكون قد أقحمت نفسها طرفا في متاهة حرب مذهبية خطيرة كانت روسية حقا بغنى عنها.

السوريون هم من سيدفعون ثمن إسقاط المقاتلة الروسية

جاءت عملية إسقاط المقاتلة الروسية من قبل الأتراك في الأجواء الحدودية بينهم وبين سورية لتُصَعّد من العلاقة المتوترة في الأساس بين البلدين لدرجة وصف بوتين ما حدث (بطعنة في الظهر من طرف من يدعم الإرهابيين).

لكن بوتين ليس الوحيد الذي اتهم تركيا بالتعاون مع الإرهابيين، حكومة أردوغان كانت ولا تزال صاحبة مواقف مغايرة لحلفائها منذ صعود نجم الحركات الإسلامية المتشددة بعد عسكرة الثورة السورية وكانت تواجه انتقادات شتى من حلفائها قبل خصومها، تارة بأنها لا تساهم بالدرجة الكافية في مجال مكافحة الإرهاب وتارة أخرى بأنها تعالج جرحى تنظيم داعش وتُسَهِّل عملية تنقل عناصره عبر حدودها إلى سورية.

تقول صحيفة الإندبندنت: إن التوصل إلى حل سياسي في سورية، بقاء الأسد في المرحلة الانتقالية، لعب إيران دورًا رئيسًا في الحل في سورية، فشل تركيا في إقامة منطقة آمنة، حصول الأكراد على التعاطف الدولي

وتشكيل إدارة ذاتية في مناطقهم، كلها حلول لا تتناسب وتطلعات حزب العدالة والتنمية وتشكل الدوافع الحقيقية وراء إسقاط تركيا للطائرة الروسية.

أردوغان أمسك العصا من المنتصف في محاولة للبقاء على العلاقة الإستراتيجية له مع حلفائه في الناتو ساعيًا سعيًا حثيثًا إلى استدراجهم للمقايضة، باديًا استعداد بلاده للمساهمة في دحر داعش مقابل إطلاق يده في المناطق الكردية في سورية وإجهاض أي تقدم قد يحرزه حزب الاتحاد الديمقراطي، الفرع السوري للعمال الكردستاني الذي تعتبره تركيا أخطر على أمنها القومي من داعش وأخواتها، لاسيما أن المقاومة الكردية في كوباني أوصلت نشوة النصر إلى الداخل التركي (الكردي)، ساهمت إلى حد كبير في مضاعفة التصويت لصالح حزب الشعوب الديمقراطية الموالي أيضا للعمال الكردستاني ودخوله البرلمان لأول مرة في تاريخ تركيا الحديث وبقية القصة معروفة، كيف إن أردوغان عَمَدَ إلى إعادة الانتخابات البرلمانية بعد أن أمر بعمليات قصف عدوانية ضد مواقع الكردستاني لكسب أصوات القوميين الأتراك والحصول بالتالي على أغلبية برلمانية من جديد.

روسية بدورها لها دوافعها حيث كانت تعاني عزلة سياسية وعقوبات غربية جراء تدخلها العسكري في أوكرانيا، حاولت كسر الجليد من حولها من خلال الاستمرار في سياسة تحدي الغرب ودعم الأسد لتأمين بقائها في المياه الدافئة مستفيدة من تردد أمريكا التي فقدت الكثير من دورها

الريادي في السياسة العالمية عموما وفي المشرق العربي والإسلامي على وجه الخصوص، هذا بالإضافة إلى خشية موسكو الفعلية من تعاظم دور التيارات الإسلامية، السنية على وجه التحديد، إبعاد مثل هذا التعاظم عليها وتأثيرها في الداخل الروسي.

تضارب المصالح بين كل من روسيا وتركيا بات واضحًا يومًا بعد الآخر حتى تكللت بإسقاط المقاتلة الروسية وبدأت الأشياء تسمى بمسمياتها الحقيقية بعيدًا عن لغة الدبلوماسية والابتسامات الاستعراضية. روسيا قصفت مواقع لا حصر لها للمعارضة السورية الموالية لتركيا ثم جاء دور تركيا مستفيدة من العربدة الروسية فوق أجواء المنطقة لتلفت أنظار العالم وبدرجة أكبر لتقول لكل من روسيا وإيران إن دورها كقوة إقليمية عظمى لا يمكن تجاهله.

على الرغم من كل ما ذكر وخلافا لكل التكهنات فإن المحظور لن يقع ولن يكون هناك اشتباك عسكري مباشر بين الدولتين. روسيا على عكس ما تريد أن تُظهر للعالم فإنها أضعف من أن تواجه دولة بحجم تركيا عضوة في حلف الناتو، وهي تعاني الأمرّين من الضغوط الدولية التي تؤثر بشكل كبير عليها من الناحية الاقتصادية ما يجعلها تلهث للتحالف مع دولة مثل إيران لا يجمعهما سوى الإفلاس السياسي والأخلاقي. بوتين لن يقوم بعمل عسكري مباشر ضد أهداف عسكرية تركيا، لكن المصيبة هي أنه لن يقف أيضًا مكتوف الأيدي بل سوف يجيب على إسقاط طائرته بالمزيد من الدعم للنظام في دمشق وبمضاعفة قصف المناطق السورية

القريبة من تركيا والقوى المعارضة المقربة منها. بقي أمر على قدر كبير من الخطورة والذي أتمنى أن أكون مخطًا في حدسي ألا وهو أن تقوم موسكو باستدراج حزب العمال الكردستاني، دعمهم بالسلاح للقتال نيابة عنه.

السوريون بمختلف انتماءاتهم سوف يدفعون ثمن رعونة بوتين ومطامع أردوغان بالمزيد من القتل، التهجير، الدمار وأهم من ذلك كله هو إطالة أمد الأزمة، بقاء الأسد وداعش ليُمعِنوا أكثر فأكثر في قتل الأبرياء وسفك الدماء.